

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



دور سكان الشام والطوائف العرقية في مواجهة الصليبيين
5 - 11/12م

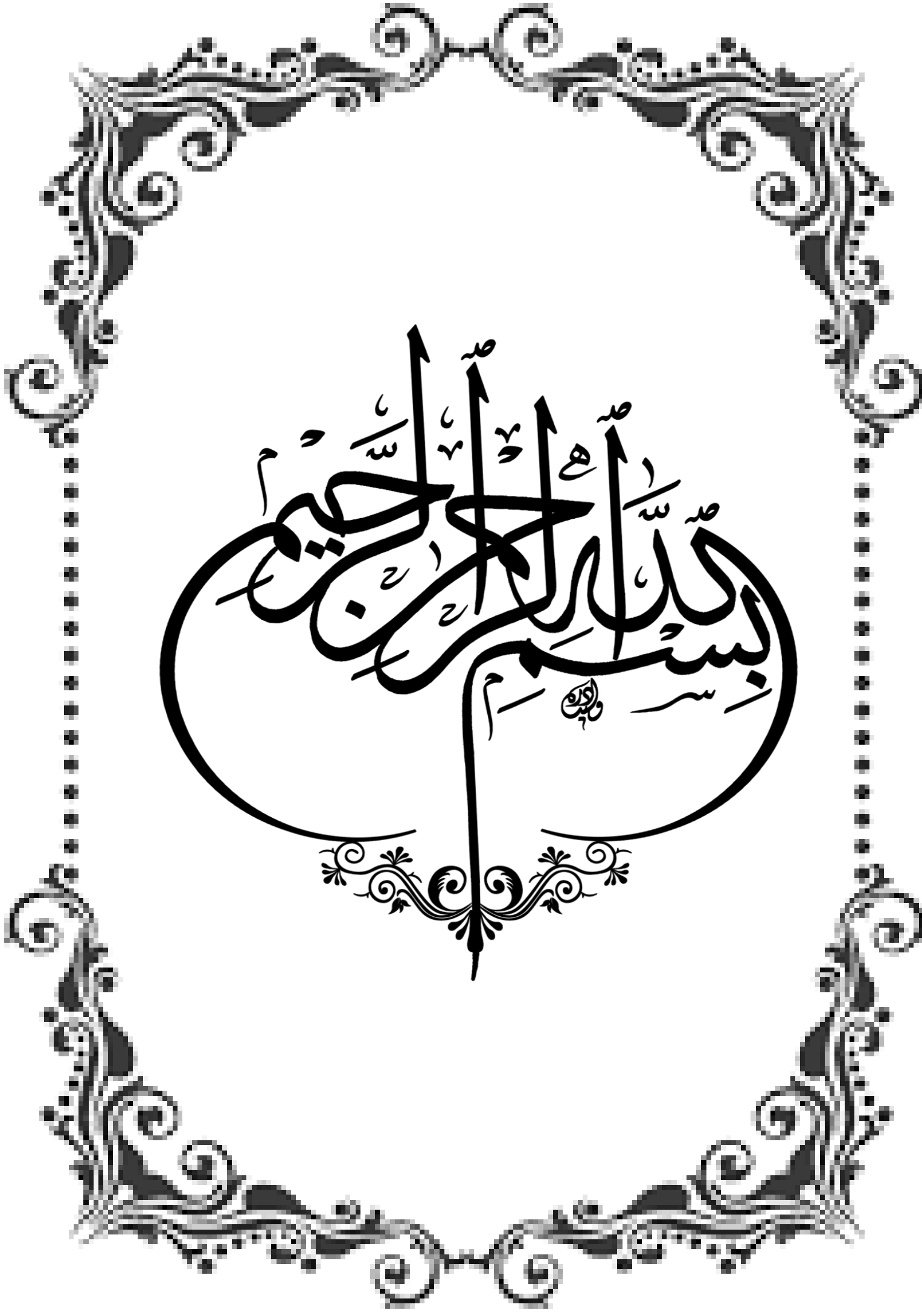
مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي
إعداد الطالبة: نسرين صديقي
إشراف الأستاذ: د. طوهارة فؤاد

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
مسعود خالدي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
فؤاد طوهارة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أحلام يوسف	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2023 - 2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر وتقدير

الحمد والشكر لله العلي القدير على نعمه الظاهرة والباطنة وما منحنا من صبر
وقوة لإتمام هذا البحث.

اعترافا بالفضل وتقديرا للجميل، لا يسعنا بعد أن انتهينا من إعداد هذا البحث
إلا أن نتوجه بجزيل شكرنا إلى أستاذي المشرف الدكتور: "فؤاد طوهارة" لقبوله
الإشراف على هذا العمل، وعلى توجيهاته ومساعدته القيمة التي أفادتني
كثيرا في إثراء معارفي العلمية.

كما أتوجه بخالص الشكر إلى أساتذتي بالكلية وإلى اللجنة المناقشة والشكر
كذلك إلى كل من ساعدني في هذا البحث من قريب أو من بعيد
والحمد لله الذي تمت بنعمته الصالحات

إهداء

قال تعالى : « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. «الآية 105 . سورة التوبة.

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك... و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك و لا تطيب الجنة إلا برويتك

الله ﷻ

إلى من بلّغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأم ...إلى نبي الرحمة و نور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلفه الله بالهبة و الوقار... إلى من علمني العطاء بدون إنتظار إلى من أحمل

إسمه بكل إفتخار إلى والدي العزيز " نبيل "

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و الحنان و التقاني إلى بسمه الحياة و سر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أحب الناس إلى أمي " صبرينة "

إلى أغلى الناس و أقربهم إلى قلبي إلى من شد الله بهم عضدي إلى إخوتي: توأمي شيرين

وملاكي فريال وقره عيني محمد

كما اقدم جزيل الشكر للاستاذ المشرف استاذي " طوهارة فؤاد " على عطائه الدائم لي فكلمات

الثناء لا توفيك حقك فشكرا على عطائك

كما أهدي هذا العمل إلى كل من حملو أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق

العلم والمعرفة "أساتذتنا الأفاضل "

إلى من زرع حبهم في قلوبنا إلى أهلنا في فلسطين أرض الأنبياء إلى شهدائنا الطاهرين.

نسرين

قائمة المختصرات

الرمز	دلالاته
م	ميلادي
هـ	هجري
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تق	تقديم
نق	نقد
د. ت. ن	دون تاريخ النشر
د. م. ن	دون مكان النشر
د. ت	دون تاريخ النشر
ج	جزء
ع	عدد
مج	مجلد
ص	الصفحة

مقدمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركا ، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم ، و على آله وصحبه أجمعين أما بعد :

لم تكن الحروب الصليبية مجرد صداما عسكريا بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي ، وإنما كانت صراعا حضاريا متعدد الجوانب بين الطرفين، تجلت مؤشرات ابتداء من القرن الخامس والسادس الهجري/ الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، في وقت شهد فيه العالم الإسلامي مرحلة مهمة من التطور والازدهار ، على الرغم من حالة الانقسام والتفكك السياسي والمذهبي الذي كانت تعيشه القوى الإسلامية في الشرق الأدنى خاصة بلاد الشام(490هـ/1098م) ؛ مما سهل كثيرا من مهمة الصليبيين وفتح لهم المجال لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية ، إلا أن العالم الإسلامي رفع راية الجهاد وشرع في المقاومة في صورها المختلفة وبأساليبها المتنوعة ، و لم تترك للصليبيين مجالا للشعور بالهدوء أو الاحساس بالأمن ، بل زرع الرعب في نفوسهم أينما حطوا أقدامهم.

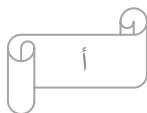
لقد كانت بلاد الشام بشكل خاص مجالا للصراع الاسلامي الصليبي ، حيث وقعت بين الطرفين العديد من الحروب و المواجهات الحاسمة مثل معركة عسقلان، حطين...إلخ، إلا أن نتائجها كانت متباينة بين النجاح والفشل ، ولم تقتصر مقاومة أهل الشام ضد الوجود الصليبي على السلاح فقط؛ بل اتخذوا من العقل والفكر كذلك أداة للمواجهة والصمود والدعم والاسناد ، إذ جفت أقلامهم في كتابة وتدوين الكثير من الأشعار والخطب، ولعل ثبات معظم المدن الساحلية أمام الحصار الفرنجي لعدة سنين دليل واضح عن مدى عزمهم على الجهاد حتى الموت دفاعا عن بلادهم.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

اخترت دراسة موضوع : دور سكان الشام والطوائف العرقية في مواجهة الصليبيين 5-

6/11-12م لعدة أسباب أهمها:

➤ أن الموضوع جدير بالبحث والدراسة لاقتترانه بفترة مهمة من تاريخ المقاومة الاسلامية للوجود الأجنبي.



➤ الكشف عن صور و أساليب المقاومة والقتال المعتمدة من قبل سكان بلاد الشام في مواجهة الغزو الصليبي .

➤ إبراز موقف الخلافة الفاطمية و السلاجقة من الغزو الصليبي لبلاد الشام ، و طبيعة المقاومة المعلنة ضد الوجود الفرنجي.

➤ إبراز النهضة الفكرية والأدبية التي بلغت بلاد الشام عصر الحروب الصليبية رغم وطأة الصراع وشدته.

ثانياً: أهداف الدراسة:

➤ إبراز مكانة بلاد الشام في حلقة الصراع الاسلامي الصليبي.

➤ التأكيد على وحدة سكان بلاد الشام ودورهم البارز في المقاومة رغم التنوع العرقي و الطائفي.

➤ بيان الأثر الايجابي لصور المقاومة الإسلامية وتنوع أساليب القتال والمواجهة ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام.

➤ تحديد الأثر السلبي للحروب الصليبية وتداعياتها على سكان وجغرافية بلاد الشام.

ثالثاً: حدود الدراسة:

أ. الحدود الزمنية:

يشمل نطاق الدراسة الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن السادس الهجري/الحادي والثاني عشر الميلادي، أي منذ أن انبعثت المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، لأول مرة في المشرق الإسلامي انطلاقاً من منطقة الجزيرة في شمال العراق أول أمصار المسلمين التي تعرضت للخطر الصليبي خاصة بعد الاستيلاء على الرها عام 490 هـ/1097 م، وتأسيس أول الإمارات الصليبية، أين فأدرك السكان هناك خطر التوغل الصليبي في بلادهم، مما بعث المسلمين على التفكير المستمر في مهاجمة الصليبيين، إلى غاية القرن 6 هـ/ 12 م.

ب. الحدود الجغرافية : يشمل المجال الجغرافي بلاد الشام والمناطق المجاورة له ، ويظم

بشكل دقيق كل من : أنطاكية ، حلب، دمشق، بيت المقدس، هذه المناطق البارزة التي كانت عرضة للهجمات الصليبية بقيادة الفرنجة ، و قدمت لنا نماذجاً متنوعة من صور الجهاد والمقاومة خلال القرن 5-6هـ/11-12م.

رابعاً: الإشكالية:

تمحورت إشكالية الدراسة حول طبيعة الدور الذي لعبه سكان بلاد الشام و الطوائف العرقية في مقاومة الصليبيين، والتي تمت معالجتها من خلال التساؤلات التالية:

- كيف كانت ردود الفعل الاولية من طرف سكان بلاد الشام على الحملات الصليبية؟
- ماهي أشكال الرفض للوجود الصليبي في بلاد الشام؟ وهل كانت مقتصرة على الشاميين فقط ؟ أم أنها توسعت الى خارج بلاد الشام والجزيرة ؟
- فيما تمثلت أساليب الجهاد و المقاومة التي استخدمها الشاميون في مواجهة الصليبيين؟
- وهل كان دور القادة وزعماء الخلافة الاسلامية كافياً في ردع الصليبيين وطردهم من بلاد الشام؟

- ما تأثير الحروب الصليبية على الهوية الثقافية والدينية لسكان المنطقة؟

خامساً: المنهج المتبع:

- المنهج الوصفي: قمت بتتبع ووصف الأحداث التاريخية المتعلقة بسير الحملة الصليبية على بلاد الشام وردود فعل سكان الشام في مقاومة المد الصليبي من خلال ما جمعته من معلومات تاريخية متناثرة في أمهات المصادر التاريخية على اختلاف انتمائها.
- المنهج التحليلي: لتشخيص و تقويم مشكلة الدراسة و محاولة تفسيرها تاريخياً و إعطاء إجابات واضحة على الاشكالية الرئيسية والتساؤلات البحثية.

سادساً: خطة البحث:

انطلاقاً من المادة العلمية التي تمكنت من جمعها ووفقاً للمنهج المتبع، تمت معالجة موضوع الدراسة في خطة بحثية تتكون من: مدخل تمهيدي للموضوع وثلاثة فصول رئيسية وخاتمة، وعدد من الملاحق ذات صلة بالبحث، وقد جاءت الخطة متضمنة لعناصر البحث.

حاولت في التوطئة أن أعرف بالمجال الجغرافي لبلاد الشام وأهميته الدينية والاقتصادية، هذا إلى جانب التركيبة السكانية للمجتمع الشامي زمن الحروب الصليبية.

جاء الفصل الأول بعنوان: "العدوان الصليبي على بلاد الشام وتأسيس الإمارات الصليبية في القرن 5-6هـ/11-12م، أين تحدثت في المبحث الأول عن الاجتياح الصليبي وهجرات السكان؛ من خلال وقائع الحملة الصليبية الاولى وتداعياتها على المنطقة، خاصة على الهجرات السكانية وما خلفته من آثار على بلاد الشام، وعالجت في المبحث الثاني: حصار مدن الشام وتأسيس الإمارات الصليبية إذ تمكن الأمراء الصليبيون في أول حملة لهم على المشرق الاسلامي من السيطرة على أجزاء واسعة من بلاد الشام والجزيرة الفراتية واستطاعوا في ظرف عشر سنوات من إقامة مملكة لهم في بيت المقدس و ثلاث إمارات: الرها في أعالي الفرات، أنطاكية في شمال بلاد الشام، و طرابلس على الساحل الشامي، وكان هذا الحدث بمثابة صدمة كبيرة للقوى الإسلامية، وتحدي صارخا لمشاعر المسلمين في مختلف بقاع العالم الإسلامي، خاصة بعد توطين الكثير من الصليبيين سعيا منهم لتتصير بلاد الشام والجزيرة وجعلها أرضا صليبية، أما المبحث الثالث والآخر فتناولت فيه دور الطوائف العرقية في المقاومة، و حولت بشكل خاص أن أركز على الخصوص المغاربة والأندلسيين والمهاجرين المسلمين.

أما الفصل الثاني الذي كان بعنوان: "دور سكان الشام في المقاومة وردع الصليبيين"، تناولت في مبحثه الأول ردود فعل سكان الشام من الحملات الصليبية مع توضيح موقف البدو ورأي أهل الذمة، و تطرقت في المبحث الثاني إلى المقاومة العسكرية للوجود الصليبي، حيث استعملوا وسيلة نصب الكمائن وتعقب الصليبيين وكذلك المشاركة في المعارك.

أما المبحث الثالث فقد تعرضت فيه إلى المقاومة الفكرية للوجود الصليبي حيث تطرقت إلى موقف الفقهاء والعلماء من الوجود الفرنجي ودورهم في تفعيل المقاومة الفكرية والثقافية إى جانب الأدباء والشعراء.

عالجت في الفصل الثالث أثر المقاومة الاسلامية للوجود الصليبي على سكان بلاد الشام، أين تحدثت في المبحث الأول عن الهجرة والنزوح كنتيجة للسياسة الاستيطانية الصليبية ، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه "الأوضاع الاقتصادية للصليبيين"، بينما ركزت في المبحث الثالث على ثورات الفلاحين ضد الاحتلال.

وأخيرا وضعت خاتمة بحثية تطرقت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها، وزودت بحثي بمجموعة من الملاحق التي وجدتها تخدم الموضوع.

سابعا: صعوبات الدراسة:

- تشعب المادة العلمية بين المصادر الاسلامية و اللاتينية المعربة. .
- تطابق المادة الخبرية في الكثير من المصادر الإسلامية.
- عدم اتقان اللغة اللاتينية التي أرخ بها الكثير من المؤرخين للحروب الصليبية.

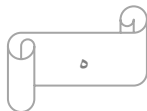
ثامنا: عرض أهم المصادر والمراجع:

ولدراسة هذا الموضوع كان لا بد من الاطلاع على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة العربية منها والأجنبية التي تناولت تلك الحقبة، وكان من أهمها:

أ. المصادر العربية:

- ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي التميمي الدمشقي (ت555هـ/1160م)، ولد ابن القلانسي في كنف عائلة مثقفة معروفة، حيث نشأ على ثقافة دينية وأدبية، ومن أهم أعماله كتابه "ذيل تاريخ دمشق"، الذي يعد من الكتب القيمة التي تناولت فترة الحروب الصليبية، وتكمن أهميته في أن مؤلفه كان معاصرا للأحداث وشاهد عيان عليها، وقد زودنا بمعلومات هامة عن التمدد الصليبي في أرض بلاد الشام والمجازر المرتكبة وردود الأفعال.

- ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير الكتاني، ولد في مدينة بلنسيا (ت540هـ/1145م)، تلقى العلم على يد شيوخ عصره في غرناطة، صاحب كتاب رحلة ابن جبير ، الذي دون فيها مشاهدته في رحلته الأولى إلى المشرق سنة (578هـ/1182م)، والرحلة الثانية سنة



(585هـ/1189م)، وقد تناول هذا الكتاب كل ما يتعلق بأحوال المسلمين في الإمارات

الصليبية، ودور التعليم والمدارس والحياة في بلاد الشام.

- ابن منقذ، أسامة ابن مرشد ابن علي بن مصر بن منقذ الكناني الشيزري (ت584هـ

/1188م)، كتابه "الاعتبار"، وقد تضمن معلومات حول صفات وأخلاق الصليبيين

وعلاقتهم بالمسلمين، والحيات الاجتماعية التي سادت بلاد الشام ذلك الوقت.

- عماد الدين الاصفهاني، عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/1201م)، الكاتب

الفقيه الشافعي، كتابه " خريدة القصر وجريدة العصر"، وهو مصنف أدبي جمع في

الكثير من القوائد الشعرية وأسماء الشعراء، وقد أفاد البحث في ما يخص تراجم الشعراء

وأشعارهم خاصة كتاب قسم شعراء الشام؛ وقسم شعراء مصر.

- ابن الاثير، عز الدين بن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ولد

بالجزيرة (630هـ/1232م)، كان إمام حافظ للحديث كذلك للتواريخ المتقدمة والمتأخرة

ومن أهم كتبه "الكامل في التاريخ"، استخدمته في معظم فصول البحث؛ لأن مؤلفه

معاصر للحدث ويحتوي كتابه على معلومات مفصلة عن فترة الحروب الصليبية.

- ابن العديم، كمال الدين (ت660هـ/1236م)، من أبرز كتبه "زبدة حلب في تاريخ

الحلب"، وقد اعتمدت عليه بشكل كبير في الحديث عن تأسيس الامارات الفرنجية.

- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي

(ت665هـ /1266م)، كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية الصلاحية"، وقد أفاد

الدراسة في كل فصولها من معلومات هامة عن تراجم العلماء والشعراء مبينا دورهم في

الحياة العلمية.

إضافة لهذه المصادر فقد استقدت من مصادر أخرى أهمها: ابن واصل، جمال الدين

محمد بن سالم (697هـ/1297م)، كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، وكذلك كتاب

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين يوسف ابن شداد (ت660هـ/1234م)،

وأیضا كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (ت874هـ /1469م)،

كتاب السلوك في معارف دول الملوك للمقريزي (ت745هـ/1442م). بالإضافة إلى عدد من المصادر الأخرى.

ثانيا: المصادر الأجنبية:

1. خشيه الشارترزي: كان شاهد عيان ومعاصرا لأحداث الحملة الصليبية الأولى، صاحب كتاب أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ترجم تحت عنوان تاريخ الحملة إلى القدس، من المصادر المهمة اكتسبت منه الكثير من المعلومات حول سير الحملة الصليبية الأولى وحصار المدن.

2. وليام الصوري: صاحب كتاب الاعمال المنجزة في ما وراء البحار، تأتي أهميته باعتبار أن ويليام كان معاصرا في احداث الحروب الصليبية وتطرقه لحقبة زمنية طويلة عن تاريخ الصليبيين حتى سنة 580هـ/1184م، حمل معلومات جمة حول الاضطهاد الصليبي للمسلمين.

3. يوشع براور: صاحب كتاب الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس، أفادني في دراسة تاريخ الحروب الصليبية وموقف سكان الشام من الغزو الصليبي.

ثالثا: المراجع العربية واللاتينية:

أ. المراجع العربية:

دعمت بحثي بمجموعة من المراجع التي سهلت علي فهم و استيعاب بعض الأحداث و الوقائع ذات الصلة بالمقاومة الاسلامية للعدوان الصليبي ومهدت لي الطريق للشروع في اعداد هذه الدراسة وكانت أغلبها متنوعة عربية منها ولاتينية نذكر منها:

1. سعيد عبد الفتاح عاشور: "الحركة الصليبية (صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ماهيتها وبواعثها)، سرد هذا الكتاب الكثير من الأحداث عن الحملة الصليبية والتي تعتبر زحف ممول للأوروبيين اتجاه بلاد الشام، والتي من خلالها سعى الغرب الاوروبي إلى تأسيس إمارات، وقد استفدت منه في معرفة العلاقة بين الإمارات وغيرها من الإمارات الإسلامية.

2. كتاب محمد علي كرد: خطط الشام، وكتاب محمد الحميري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، وغيرها من المراجع التي أفادتني في كل فصول الدراسة خاصة بلاد الشام ودورها في مواجهة العدو الصليبي.

3. راغب السرجاني: قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين الزنكي، اعتمدت عليه في معرفة الحملة الصليبية الاولى وتأسيس الإمارات الصليبية
ب. المراجع اللاتينية:

1. ستيفن رانسيمن: مؤرخ إنجليزي متخصص في فترة العصور الوسطى، ولد في عائلته ميسوره. جده، لورد رونسيمن، كان لديه مصانع مواد كيماوية وصاحب أراضي، وأباه وأمه كانوا أعضاء في البرلمان ممثلين الحزب الليبرالي في المملكة المتحدة ، له كتاب تاريخ الحملات الصليبية 3 أجزاء وهو مرجع ممتاز عالج فيه كل أحداث ووقائع الحروب الصليبية بشكل مفصل ، وبطريقة متقنة و سلسلة رغم كثافة معلوماته وصعوبتها. أبدع الكاتب في سرد الأحداث وذكر الأسباب والنتائج واستخلاص العبر.....

2. أنتوني بروج صاحب كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، لا يقل أهمية عن سابقه عالج فيه الصراع الصليبي المسلح الذي استمر لمدة تقارب مائتي سنة بين العالم المسيحي الغربي والعالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية، وتسبب في تغيير نمط حياة الناس وانهايار الإمبراطوريات القديمة ونشوء إمبراطوريات جديدة، هذا الى جانب الصراعات التي شملت مشاركة أفراد من أمم مختلفة ، وقد أدت إلى انقسامات داخلية في الجانبين المسيحي والإسلامي. الكتب التاريخية تسلط الضوء على هذه الفترة المعقدة، مثل "الحروب الصليبية" لستيفن رنسمان وكتاب المؤرخ هانس ابرهارد..

مدخل تمهيدي

جغرافية بلاد الشام وأهميته في الصراع الإسلامي الصلبي

1. المجال الجغرافي لبلاد الشام
2. أصل التسمية
3. أهمية بلاد الشام في الصراع الصليبي الإسلامي
4. التركيبة السكانية للمجتمع الشامي في عصر الحروب الصليبية

1. المجال الجغرافي لبلاد الشام:

تعتبر حدود بلاد الشام بعد الفتح بمثابة حدودها أيام الروم، ونجد أن الجغرافي "الإصطخري" كان أكثر تحديداً لموقع بلاد الشام إذ قال: "أما الشام فإنَّ غَرْبَها بحر الروم، وشرقها البادية من أيلة إلى الفُرات، ثم من الفُرات إلى حدِ الروم، وشماليها بلاد الروم وجنوبيها حدِ مصر، وتيه بني اسرائيل، وآخر حدودها ممَّا يلي مصر رَفَحَ، وممَّا يلي الروم الثغور (1).

كانت البراري مترامية الأطراف في شرقي بلاد الشام تنقسم إلى قسمين المعمورة والبادية (2).

فالنوع الأول المعمورة تتكون من العديد من القرى والسكان الحضر، وهو صالح للرعي ويقابله في مصر والعراق الريف، الممتد على شواطئ النيل والرافدين؛ أما النوع الثاني البادية يقع في شرقي المعمورة قليل الكأ والماء غير صالح للرعي (3).

إضافة إلى تواجد السهول والمنخفضات، التي كانت فاصلا بين مناطق الشام وحتى المنطقة الساحلية (4).

تمتد حدود بلاد الشام من ملطية إلى رَفَحَ ومنبج وحلب وحمص ودمشق إلى طبرية إلى الرملة، خمسة وعشرين يوما، وعرضها من الفُرات من جسر منبج، ثم على قورس ثم على بياس إلى التينات (5).

-
- (1) حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1987، ص 20.
 (2) إيمان أحمد حسين مقابلة، القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1998، ص 21.
 (3) أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، دار الفكر، دمشق، ط2، 1983، ص 18.
 (4) الفلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج4، 1997، ص 35.
 (5) ابن حوقل، أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت، ص170.

اختلف معظم الجغرافيين في رسم الحدود الشمالية والجنوبية والشرقية لبلاد الشام. فقد قال ابن حوقل: "أن الشام غَرْبِيَّهَا بحر الروم وشرقيَّهَا البادية إلى الفُرات حتى ملطية والتي اعتبرها آخر حد من بلاد الروم"⁽¹⁾.

أما ياقوت الحموي فقال: "حدها من الفُرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية؛ وأما عرضها من جبل طي من نحو القبلة إلى البحر"⁽²⁾.

اتبع العرب نظام الأجناد في تقسيم بلاد الشام، وأن العرب استنبطوا هذا النظام عن الروم، غير أن البلاذري يرى أن العرب اتَّبَعُوا نظام الأجناد لأسباب إدارية وعسكرية فقال: "اختلفوا في تسمية الأجناد فقال بعضهم: سُمي المسلمون جنداً لأنه جمع كورا وكذلك دمشق والأردن وحمص...؛ وأن يزيد بن معاوية هو الذي أخرج قنسرين من جند حمص ما جعلت جنداً قائماً بنفسه"⁽³⁾.

صارت بلاد الشام خمس أجناد:

جند فلسطين: أول أجناد الشام ومن مدنه التي عددها البلاذري: "رَفَحَ وغزة وعسقلان وأيلة وقسارية وبيت المقدس ونابلس وعمواس"⁽⁴⁾، أما أهل المدينة أخلط من الناس من العرب والعجم ومن لحم وجذام وعاملة وكندة وقبس وكنانة⁽⁵⁾.

جند الأردن: ثاني أجناد الشام وهو أصغرهما مساحة، وأقصرها مسافة⁽⁶⁾. ومن مدنه وقراه التي أحصاها البلاذري: طبرية، عكا، صور، بيسان، فحل، الجولان، جرش⁽⁷⁾.

(1) ابن حوقل، أبو القاسم، المصدر السابق، ص 155.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 2، 3.

(3) البلاذري، أحمد ابن يحيى ابن جابر البغدادي، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، 1987، ص 180، 181.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1901، ص 145، 146.

(5) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، 1918، ص 90.

(6) الاصطخري، أبو اسحاق محمد إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، مطبعة بريد، لندن، د.ط، 1937، ص 99.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 115-117.

جند دمشق: ثالث أجناد الشام، وهو أكبرها مساحة وأطولها مسافة، ومن مدنه التي ذكرها البلاذري: حوران، بعلبك، دمشق، مؤتة، الغوطة، بصرى، أدرج، تبوك وتعد دمشق من المدن الكبرى⁽¹⁾.

وقد وصفها اليعقوبي في قوله: "مدينة جليلة قديمة وهي مدينة الشام في الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير في أجناد الشام في كثرة انهارها وعمارتها"⁽²⁾.

جند حمص: رابع أجناد الشام ومن مدنه وأقاليمه التي عددها البلاذري: حمص، شيزر، مغرة النعمان، قارا، تدمر، حماة، اللاذقية⁽³⁾.

وتعتبر حمص من أكبر المدن، وهي على نهر العاصي على اثنتين وتسعين ميلاً إلى الشمال من دمشق⁽⁴⁾.

جند قسرين: خامس أجناد الشام، ومن مدنه ومناطقه التي قال بها البلاذري: قنسرين، أنطاكيا، حلب، نصرين، بني القعقاع، الجومة، سلوقية، منبج، صفين...⁽⁵⁾.

وتتبين قداسة بلاد الشام من خلال قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾⁽⁶⁾.

2. أصل التسمية:

تعددت الروايات في أصل تسمية بلاد الشام، حيث قال بعض المفسرين سميت بذلك "لأن بني إسرائيل قاموا بقتل بني كنعان ونفوا ما بقي منهم فأصبحت لهم، دخل الروم على

(1) البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 59-130.

(2) اليعقوبي، البلدان، المصدر السابق، ص 325.

(3) الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، فتوح الشام، تص: وليم ناسوليس الإيرلاندي، طبعة مدينة كلكتة، كلكتة، د.ط، 1953، ص 77.

(4) ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المسالك والممالك، تص: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1998، ص 84.

(5) البلاذري: فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 144-152.

(6) سورة الأنبياء، الآية: 71.

بني إسرائيل فقتلوهم، وهاجر من بقي منهم إلى العراق، ثم جاءت العرب فقتلت الروم وشتتهم وهرب بعضهم إلى بلاد الروم، واستمرت بيد أولاد العرب إلى يومنا هذا⁽¹⁾.

جاء في رواية ابن المقفع: "سميت الشام بسام بنو نوح. وسام اسمه بالسريانية شام، وبالعبرانية شيم؛ وقال الكلبي: سميت بشامات لها حمر وسود وبيض"⁽²⁾.

أما الشام " فهو فعل من اليد الشومي، وهي اليسرى، يقال: اخذ شامة أي على يساره؛ وقال قوم: هو من شؤم الإبل وهي سودها وحضارها هي البيض"⁽³⁾.

كان العرب في الجنوب يطلقون اسم الشام على جميع أجزاء المنطقة الشمالية من البلاد العربية⁽⁴⁾.

وكذلك أطلق اسم الشام "على كل شيء قليل في نوعه فقالوا: في قومه شامة، وهي ميزة عندهم بالكرم أو بالحلم أو بالشجاعة وغيرها من الصفات الحميدة"⁽⁵⁾.

3. أهمية بلاد الشام في الصراع الصليبي الإسلامي:

للشام أهمية كبيرة، فقد ذكرها المقدسي بقوله: "إقليم الشام جليل الشأن ديار النبيين ومركز الصالحين ومطلب الفضلاء به القبلة الأولى وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدسة والرباطات الفاضلة والثغور الجليلة ومهاجر إبراهيم ومشاهد الأنبياء وفضائل لا تحصى"⁽⁶⁾.

-
- (1) ابن البقاء عبد الله البديري، نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1980، ص 11.
- (2) ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، د.ب، د. ط، ج1، 1995، ص 10.
- (3) ابن شداد عز الدين محمد ابن علي ابن إبراهيم، الأعلام الخظيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى زكريا عبادة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ط1، ج1، 1991، ص 15.
- (4) عفيف البهنسي، الشام والحضارة، دراسة تاريخية، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1986، ص 24.
- (5) ابن البقاء عبد الله البديري، المصدر السابق، ص 12.
- (6) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 151.

والدليل الذي يؤكد عظمة وقداسة بلاد الشام، قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)﴾⁽¹⁾.

بالإضافة إلى الأهمية الاقتصادية التي ميّزت بلاد الشام لما جعلتها منطقة صراع في المجتمع الصليبي والإسلامي، لما يميزها بأراضيها الزراعية الخصبة بفضل وفرة المياه مع وجود العديد من الأنهار والبحيرات⁽²⁾.

اختص الله تعالى أرض الشام وباركها وقدسها لتكون قدس أنبيائه وموطن رسالته إلى كل العالمين، فليس هناك من مكان يتوسط العالم كفلسطين حيث يمكن للرسالة أن تجتاز أربعة أركان الدنيا وتعم البشر أجمعين⁽³⁾؛ فبلاد الشام منذ فجر التاريخ ارتبطت بوحى السماء وسيرة أولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء والمرسلين: كإبراهيم وإسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، داود، سليمان، زكريا، يحيى، عيسى... عليهم السلام فضلا عن النبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام، في ذلك يذكر ابن رجب⁽⁴⁾: أن عامة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام.

تفردت بلاد الشام عن غيرها من الامصار والأقطار لاسيما بيت المقدس وبيت لحم⁽⁵⁾ بمآثر دينية جعلت منها مهوى أفئدة الشعوب ومحط تقديس وتعظيم أصحاب الديانات السماوية، وقد زادها موقعه الجغرافي وسط العالم القديم استقطابا فضلا عن أنها مهد أولى الحضارات⁽⁶⁾.

(1) سورة التين، الآية: 1-3.

(2) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 1996، ص 6.

(3) حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت، ص 91.

(4) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمان الحنبلي، مجموع الرسائل، تح: أبو مصعب طلعت فؤاد الحلواني، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت، ج3، ص 253.

(5) بيت لحم: مدينة بقرب من إيليا بيت المقدس مكان مهد المسيح - عليه السلام - وفيها قبر داود وسليمان -عليهما السلام- تعرف عند اليهود ببيت داود. أنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ط2، ج1، 1995، ص 521. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 123.

(6) محمد علي كرد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3، ج1، 1987، ص 55.

كما تعد أرض الشام على قدر كبير من الأهمية والقداسة لدى المسلمين، فقد قال فيها ابن رجب الحنبلي: "أعلم أن البركة في الشام تشمل البركة في أمور الدين والدنيا ولهذا سميت الأرض المقدسة"، ثم مدحها في موضع آخر بقوله: "أن نور النبي ﷺ عند ولادته سطع إليها فأشرقت قصورها منه فكان ذلك أول مبدأ دخول نوره ﷺ الشام، ثم دخلها نور دينه وكتابه"⁽¹⁾.

4. التركيبة السكانية للمجتمع الشامي في عصر الحروب الصليبية:

العرب: شكلوا الغالبية العظمى لسكان بلاد الشام، انتشرت قبائلهم في أنحاء متفرقة، ولعل أبرز هذه القبائل قبيلة "بنو كلاب"⁽²⁾ الذين نزلوا دومة الجندل وتبوك وحلب ونواحيها وأطراف الشام، وهم من أشد العرب بأساً وأكثرهم أناساً⁽³⁾ وقبيلة "بنو زبيدة"⁽⁴⁾ وهم خليط من القبائل وقد استقروا في صرخد ودمشق وحوران⁽⁵⁾، و"بنو ربيعة"⁽⁶⁾ الذين صارت لهم الزعامة الزعامة على عرب الشام في عهد الأيوبيين (567هـ - 684هـ/1172م - 1250م)⁽⁷⁾.

(1) ابن رجب، مجموع الرسائل، المصدر السابق، ج3، ص 224.

(2) بنو كلاب: ينسبون إلى كلب بن وبرة بن حلوان بن عمران، وبنو كلب بطن من فضاة، أنظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980، ص 407، 408.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق ج4، ص 237.

(4) بنو زبيدة: بطن من سعد العشيرة من القحطانية من اليمين هاجروا إلى الشام وهم حلفاء لأهل ربيعة، أنظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 268.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج4، ص 239.

(6) بنو ربيعة: هم بنو ربيعة بن حازم بن علي بن مفرح ابن دعقل بن جراح بن شيب بن مسعود، بطن من طيء من القحطانية مساكنهم البلاد الشامية، أنظر: القلقشندي، نهاية الأرب، ص 100.

(7) المصدر نفسه، ص 101.

أما قبيلة "بنو ثعلبة"⁽¹⁾ سكنت بين جنوب الشام وسيناء، وقد ذكرها "المقريزي" بقوله: "هي بالشام مما يلي أرض مصر..."⁽²⁾، حيث ذكرها "العمرى" قائلاً: "كانت ثعلبة تدفع الإفرنج على المسلمين"⁽³⁾.

كان للقبائل العربية دور فعال في الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد الشام إلا أن هذا الدور اختلف من قبيلة إلى أخرى ولاسيما أثناء المد الصليبي، فمنهم من حالف الصليبيين ومنهم من وقف ضدهم على غرار التتوخيون فقد ظلوا يتأرجحون بين الموالاتة للصليبيين تارة وللمسلمين تارة أخرى، يميلون مع من غلب⁽⁴⁾، كما كان بعض شيوخ القبائل يمنحون إقطاعات معينة حسب ما يقدمونه من خدمات مثل حفظ الأمن ومراقبة السواحل والمحافظة على الطرق والبريد والحجاج والتجارة واستعلام أخبار العدو⁽⁵⁾.

الأكراد: يرجع موطنهم الأصلي إلى أرمينيا وديار بكر⁽⁶⁾، وانتشر الأكراد في مناطق مختلفة من بلاد الشام بين المقدس وصفد وعكا وطرابلس⁽⁷⁾، والأكراد قوم أشداء يتميزون بالخشونة والصلابة وأكثر جرأة في الحروب وأقل قبولا للحضارة⁽⁸⁾ مما دفع عماد الدين زنكي إلى الاستعانة بهم في حروبه ضد الفرنجة أثناء حصار قلعة شيراز وبعد فتحها

(1) بنو ثعلبة: بطن من القحطانية، وهم بنو ثعلبة بن سلامات بن ثعلب بن عمرو بن لغوت بن طيء بن أحد بن زيد بن كملان، أنظر: القلقشندي، نهاية الأرب، المصدر السابق، ص 194.

(2) المقريزي، البيان والإعراب كما بأرض مصر من الإعراب، طبعة ليدن، (د.ت)، ص 7.

(3) العمرى أحمد بن محي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ج4، 1924م، ص 300.

(4) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1998م، ص 170.

(5) العمرى، شهاب الدين، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، ص 146.

(6) ديار بكر: هي بلاد كبيرة وواسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب، وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص 494.

(7) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ط، 1980، ص 84.

(8) جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، ج4، (د.ت)، ص 203.

أقطعهم مقابل ذلك إقطاعات في منطقة حلب⁽¹⁾، كما نالوا منزلة مرموقة وعالية زمن الدولة الأيوبية، حيث تولوا الإمارات في مصر والشام وبلغوا شأنًا عظيمًا في الجيش الأيوبي⁽²⁾.

التركمان: استوطن التركمان في مناطق مختلفة من الشام، حيث استقر عدد منهم حول ضفاف نهر الأردن مستغلين السهول التي تتناسب وتربية المواشي⁽³⁾، كما سكنوا "عين تاب"⁽⁴⁾ و"بغراس"⁽⁵⁾ وكان لهم مقدم يتولى أمورهم⁽⁶⁾، وقد ساعد تحمسهم البالغ للمذهب السني وكرههم الشديد للمذهب الشيعي وبعدهم عن الجدل في أمور الدين، فضلاً عن تمرسهم في القتال سببا في تقريبهم من الزنكيين⁽⁷⁾.

الأتراك: بدأ الأتراك⁽⁸⁾ في القرن الخامس الهجري يستقرون في بلاد الشام، إلا أنهم اتصفوا بالبداوة والارتحال وذلك طلبا للرزق، وقد اعتمد عليهم الجيش الأيوبي ضد الصليبيين وكان يفضل عنصرهم عن الآخرين، مما كانوا يعيشونه من نقشف والقدرة على احتمال

(1) أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تح: فليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، (د ت)، ص 39-55.
(2) المقرئ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1997، ص149.
(3) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1968م، ص 91.
(4) عين تاب: قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك وهي من أعمال حلب، أنظر: ياقوت الحموي، معجم معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص 176.
(5) بغراس، مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص 467.
(6) المقرئ، السلوك، المصدر السابق، ج4، ص 444.
(7) محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني والثالث عشر ميلادي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1969م، ص 28.

(8) الأتراك: ينحدرون من قبيلة "قنق" التركمانية وتمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل المعروفة بـ "الغز" في منطقة ما وراء النهر "تركستان"، تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقا إلى بحر الخزر "قزوين" استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الأتراك، أنظر: محمد عبد العظيم يوسف، أبو النصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عيد للدراسات، القاهرة، ط1، 2001، ص 29. أنظر أيضا: المقرئ، السلوك، ج1، ص

الأسفار والقتال⁽¹⁾، تمكن الأتراك من بسط سيطرتهم على جزء كبير من أراضي الشام بالإضافة إلى ممتلكات الدولة البيزنطية⁽²⁾.

(1) محمد الحويري، المرجع السابق، ص 25، 26.

(2) محمد كرد، خطط الشام، المرجع السابق، ج1، ص 82.

الفصل الأول

العدوان الصليبي على بلاد الشام وتأسيس الإمارات

الصليبية في القرن 5 - 6هـ / 11 - 12م

المبحث الأول: الاجتياح الصليبي وهجرات السكان

المبحث الثاني: حصار مدن الشام وتأسيس الإمارات الصليبية

المبحث الثالث: دور الطوائف العرقية في المقاومة

المبحث الأول: الاجتياح الصليبي وهجرات السكان:

1. الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام 489 - 492هـ/1095 - 1099م:

في ذي القعدة من سنة 489هـ/27 نوفمبر 1095م وفي حفل فسيح أقيم في مدينة كليرمونت وأمام جمع غفير من الكنسيين والعلمانيين خطب البابا "أوربان الثاني" خطابا حماسيا دعا فيه إلى مد العون لإخوانهم في الشرق وتحرير الأماكن المقدسة من أيدي العابثين والكفرة - المسلمين - على حد تعبيره، وفي نهاية خطابه وزع صلبان مصنوعة من القماش على جموع المحتشدين ليخيطونها على ملابسهم ولذلك صار الصليب شارة لكل فارس مشارك في الحملة الصليبية⁽¹⁾.

ولم يكتف "البابا أوربان الثاني" بما قاله في كليرمونت بل أخذ يجوب مدن الغرب الأوروبي داعيا الأمراء والفرسان ورجال الدين إلى الحرب المقدسة لتخليص قبر المسيح وظل على مدى ثمانية شهور ينتقل من مدينة إلى أخرى مرغبا الجميع بالمكاسب الدنيوية والدينية، وبعد ما تيقن من نجاح دعوته تم تحديد يوم 22 شعبان من عام 489هـ/15 أغسطس 1096م موعد انطلاق الحملة حين تكون المحاصيل الزراعية قد جمعت وأختيرت مدينة القسطنطينية على أن تكون مكان تجمعهم⁽²⁾.

وعليه فقد خلفت دعوة "البابا أوربان الثاني" موجة كبيرة من الحماسة في مدن فرنسا وغيرها من المدن الأوروبية إلى درجة أن البعض خرج إلى الزحف قبل موعد الحملة، حيث خرج المغامر الفرنسي "ولتر المفلس" في 11 جمادى الأولى من عام 489هـ/8 مارس 1096م مع عدد قليل من الفرسان، ثم تبعه "بطرس الناسك" على رأس حملة شعبية - غير

(1) وول ديورانت، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، دار الجيل، دب، د. ط، ج15، د. ت، ص 14. أنظر الملحق رقم 05: خطاب أوربان الثاني، ص104، 103.

(2) سميث جوناثان، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، تر: فتحي الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1999، ص 27، 28. وأنظر: الملحق رقم 01، ص99.

منظمة- من الفلاحين والفقراء في 24 جمادى الثانية/20 أفريل من نفس السنة⁽¹⁾، وكان تحرك "بطرس الناسك" ومن سبقه عصيان لأوامر البابا الذي حدد موعد انطلاق الحملة في 22 شعبان 489هـ/15 أغسطس 1096م.

وصلت حملة بطرس الناسك القسطنطينية يوم 06 شعبان 489هـ/30 يوليو 1096م وسط سخط وغضب الإمبراطور البيزنطي "الكسيوس كومنين"⁽²⁾ من أعمال النهب والسلب والحرق التي اقترفها الصليبيون في أراضي الإمبراطورية، فضل على التخلص منهم بتسهيل عبورهم إلى آسيا الصغرى⁽³⁾، لم يترئث قادة الحملة عند أحد المراكز الحصينة غرب مضيق البوسفور حتى تلتحق بهم الجيوش النظامية بل استعجلوا المسير والزحف نحو مدينة نيقية مركز السلطان السلجوقي "قلج أرسلان"⁽⁴⁾، وكان عدد الصليبيين خمسة وعشرين ألف بينهم خمسمائة فارس ولم يستطع الصليبيون الصمود أمام قوة السلاجقة المدربين وتلقوا هزيمة قاسمة ولم ينج من الصليبيين سوى ثلاثة آلاف⁽⁵⁾، وقد أسرت هذه الهزيمة الإمبراطور البيزنطي الذي سمح بعودة الصليبيين الناجين بعد تجريدهم من أسلحتهم⁽⁶⁾.

وبذلك أخفقت الحملة الصليبية الشعبية التي قادها "بطرس الناسك" وعادت أدرجها قبل وصولها إلى بلاد الشام ويرجع سبب ذلك الإخفاق إلى سوء التنظيم وأعمال السطو والنهب التي قام بها جند الحملة فضلا عن قوة السلاجقة الأتراك، وفي 22 شعبان 489هـ/15 أغسطس 1096م تحركت الحملة الرسمية -حملة الأمراء- وهذه الحملة لم تضم في صفوفها

(1) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، تر: حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ج1، 1991م، ص 112.

(2) الكسيوس كومنين: كان يشغل وظيفة كبير الحجاب، مدير شؤون القصر الإمبراطوري، وتولى الكسيوس حكم الإمبراطورية بعد أن خلع سيده تقفور الثالث 471 - 474هـ/1078 - 1081م، أنظر: وليم الصوري، المصدر السابق، ج1، ص 115.

(3) توديبود بطرس، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعارف، الجامعة الإسكندرية، ط1، 1998، ص 62.

(4) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ص 145.

(5) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى المقدس، تر: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، د.ط، 2001، ص 65.

(6) توديبود بطرس، تاريخ الرحلة، المصدر السابق، ص 64.

كبار ملوك أوروبا⁽¹⁾، حيث تزعمها عدد كبير من الأشراف والأمراء الفرنسيين لذلك عدت الحملة في حد ذاتها مغامرة فرنسية⁽²⁾، تألفت الحملة من أربعة جيوش رئيسية الجيش الأول بقيادة الأمير "جودفري بوبون"⁽³⁾ وضم عدد كبير من الزعماء وأصحاب المكانة⁽⁴⁾، وتولى قيادة الجيش الصليبي الثاني "ريموند"⁽⁵⁾ وكان معه الأسقف "أدهيمار"⁽⁶⁾ المندوب البابوي، في حين تولى قيادة الجيش الثالث "بوهيمند" وضم معه عدد كبير من الإيطاليين، أما الجيش الرابع فقد كان بقيادة "روبرت النورماندي"⁽⁷⁾ وكان معه حشد كبير من النبلاء⁽⁸⁾.

وفي ربيع الأول من عام 490هـ/1097م اجتمع ما يزيد عن ستمائة ألف شخص في القسطنطينية ومن بينهم 150 ألف فارس⁽⁹⁾، ونصح الإمبراطور البيزنطي قادة الحملة بأن يعقدوا اتفاقا مع الفاطميين في مصر خصوم السلاجقة قبل عبورهم القسم الآسيوي، وفي جمادى الأولى 490هـ/أفريل 1097م وصل وفد الإمبراطور إلى مصر ولقي ترحيب الملك

(1) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى المقدس، المصدر السابق، ص 87.

(2) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط ، 1998، ص 27، 28.

(3) جودفري بوبون: كان يعرف بدوق اللورين السفلي، وهو ابن الكونت يوستاش وكان دوق اللورين بدون أولاد فتبنى ابن أخته جودفري ليكون ابنا له، وهو أول من تولى عرش بيت المقدس عقد احتلالها، أنظر: الفيتري يعقوب، تاريخ بيت المقدس، تر: سعيد البيشاري، دار الشروق، عمان، ط1، 1998، ص 30. وأنظر أيضا: الملحق رقم 03، ص 101.

(4) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ص 145.

(5) ريموند الرابع: كونت تولوز وهو أول صليبي حمل الصليب في مجمع كليرمونت واتخذه البابا أوربان الثاني مستشارا له له في هذه الحرب، ويعد نسبه من الأنساب المعقدة بسبب زواج والدته أكثر من رجل، انظر: توديبود بطرس، المصدر السابق، ص 83.

(6) أدهيمار: صار أسقف لآبوي بمساعدة البابا جريجوري السابع، ولما حضر البابا أوربان الثاني إلى لآبوي في 10 شعبان 488هـ/15 أغسطس 1095م استشار أدهيمار بشأن خطبة مجلس كليرمونت وعينه البابا مندوبا عنه للحملة الصليبية، أنظر: فوشيه الشارترى، المصدر السابق، ص 88.

(7) روبرت النورماندي: دوق من نورمانديا وهو الابن الأكبر لوليم الفاتح ولد تقريبا عام 446هـ/1054م، وكانت مشاركته مشاركته في الحروب الصليبية مخرجا له من مصاعبه التي كانت قائمة مع عائلته، أنظر: وليم الصوري، المصدر السابق، ص 225.

(8) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص 41.

(9) أرنست باركر، الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت، ط2، د. ت، ص 27.

الأفضل وطلب هذا الأخير من الوفد أن ينقل للإمبراطور تمنياته بالنجاح وأن يكون باعتباره صديقا على علم بأخبار تقدم الحملة⁽¹⁾.

ووصل الصليبيون إلى مدينة نيقية في عام 490هـ/يونيو 1097م، وأمام ضخامة الجيش الصليبي قرر "قلج أرسلان" تسليم المدينة للإمبراطور البيزنطي على أن يدخلها دون الصليبيين القادمين من أوروبا، وفعلا تسلم الإمبراطور المدينة في رجب 490هـ/يوليو 1097م ولم يسمح بنهبها وسفك دماء أهلها⁽²⁾، وقد عبر حاكم مصر "المستعلي بالله الفاطمي" عن فرحته الكبيرة بهذا الانتصار الصليبي واعتبرت مكسبا كبيرا لدولته⁽³⁾.

وبقدر ما كان سقوط مدينة نيقية الحصينة أثر إيجابي في تقدم الحملة نحو بيت المقدس بقدر ما أثارت طريقة فتحها سخط الصليبيين على الإمبراطور البيزنطي وحدثت انشاقات بين القادة الصليبيين أنفسهم حيث توجه الإمبراطور البيزنطي نحو الغرب لاسترجاع المزيد من الأقاليم البيزنطية الآسيوية، وتمكنه من استعادة مدينة "أفسوس"⁽⁴⁾ من قبضة السلاجقة⁽⁵⁾، في حين انقسم الجيش الصليبي إلى قسمين حين انشق "تتكرد"⁽⁶⁾ ومعه ومعه "بلدوين الأول" واتخذوا طريق الجنوب الشرقي واستطاعوا إخضاع طرسوس بمساعدة سكانها النصارى⁽⁷⁾.

(1) أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، دار الفرابي، بيروت، د. ط، 1998م، ص 69.

(2) توديبود بطرس، تاريخ الرحلة، المصدر السابق، ص 111.

(3) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ص 221.

(4) أفسوس: بلد بثغور طرسوس ويقال أنه بلد أصحاب الكهف، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق ج1، ص 231.

(5) سامي ملغوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2009م، ص 46.

(6) تتكرد: والد الماركيز دريوز وهو ينتمي إلى أسرة شهيرة، حقق مجدا عسكريا قدم مع الحملة التي قادها بوهيمند وعمل مع الأمير جودفري ثم أصبح أميرا، أنظر: وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ج1، ص 215.

(7) زابوروف ميخائيل، الصليبيون في المشرق، تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، د. ط، 1986م، ص 80.

أما الفريق الثاني الذي كان تحت زعامة المندوب البابوي "وجودفري" نفسه و"بوهيمند" قد اتخذ طريقا شماليا صوب قيصرية⁽¹⁾، التي استولى عليها في شوال 490هـ/سبتمبر 1097م⁽²⁾، ولم يخف "بلدوين الأول" طموحه في تحقيق مشروع خاص به بإنشاء إمارة صليبية يتولى حكمها بنفسه فاستغل فرصة قدوم مبعوثون من الرها يلتمسون منه تقديم العون لهم، فرحب بلدوين بذلك واستطاع دخولها بمساعدة النصارى الأرمن الذين كانوا يتخوفون من عودة حكم السلاجقة وذلك عام 491هـ/1098م⁽³⁾.

وفي الوقت الذي كان فيه بلدوين يوطد سلطانه في إمارة الرها توجه الجيش الصليبي الرسمي نحو انطاكية، بعد حصارها من جميع الجهات تمكن بوهيمند من دخولها في 1 رجب 491هـ/يوليو 1098م ونكل بأهلها، وقد ذكر "ابن القلانسي" أن شعاب المدينة وطرقاتها امتلأت بجثث القتلى حتى عدا من المستحيل السير فيها⁽⁴⁾، وفي غمرة النشوة بالنصر على المسلمين في انطاكية أخذ الصليبيون يتصلون من الاتفاق الذي حصل بينهم وبين الفاطميين بالحفاظ على نفوذ الفاطميين في بلاد الشام بما فيها بيت المقدس عندما عقدوا مجلسا للحرب في ذي الحجة 491هـ/نوفمبر 1098م بكنيسة بطرس بأنطاكية وأجمعوا على استئناف الزحف نحو بيت المقدس⁽⁵⁾، وفي طريقهم إليها هاجموا مغرة النعمان ولم يكن بوسع أهلها الصمود فسلموا المدينة بعد أن أمنهم الصليبيون على حياتهم في 14 محرم 492هـ/11 ديسمبر 1098م⁽⁶⁾، غير أن الصليبيين نكثوا بالعهد وغدروا بأهل المدينة

(1) قيصرية: تعد من أجمل مدن فلسطين وجعلها الرومان عاصمة فلسطين الأولى، ويقال أن الحاكم هيرود قام بإعادة بنائها وسماها قيسارية، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص 421.

(2) وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ص 239.

(3) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص 52.

(4) توديبود بطرس، تاريخ الرحلة، المصدر السابق، ص 182.

(5) وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ج2، ص 26.

(6) ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي، زبدة حلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص 224.

المدينة فراحوا يقتلون الصغير قبل الكبير حيث خلفت أكثر من عشرين ألف قتيل كما قاموا بإحراق مساجدها وهدم دورها⁽¹⁾.

وفي 19 صفر 492هـ/15 يناير 1099م خرج ريموند من مغرة النعمان على رأس جيش مقداره ثلاثين ألف جندي زاحفا على بيت المقدس بينما بقي بوهيمند بأنطاكية⁽²⁾، فمرو بمصياف⁽³⁾ في 26 صفر 492هـ/22 يناير 1099م فعاهدهم أميرها ومنها إلى حصن الأكراد⁽⁴⁾، ثم واصلوا طريقهم نحو طرابلس التي أدركوها في 19 جمادى الثانية 492هـ/13 مايو 1099م ولاطفهم أميرها "ابن عمار" فأطلقاها عنده من أسرى الصليبيين وأغدق عليهم الأموال وكل ما يحتاجونه من خيل ومؤن وأدلاء⁽⁵⁾.

توجهوا نحو الرملة وتمكنوا من احتلالها في 11 رجب 492هـ/3 يونيو 1099م بعد أن هجرها أهلها عقب سماعهم نبأ وصول الصليبيين⁽⁶⁾، ثم شق الصليبيون طريقهم صوب المدينة المقدسة في 14 رجب 492هـ/6 يونيو 1099م وفي طريقهم أخضعوا قرية عمواس⁽⁷⁾، وفي 15 رجب 492هـ/7 يونيو 1099م التأم جمع الصليبيين عند بيت المقدس المقدس التي كان عليها افتخار الدولة الفاطمية⁽⁸⁾، وقد واجهت القوات الصليبية صعوبات جمة أثناء حصارها لبيت المقدس نتيجة ارتفاع درجة حرارة الصيف وقلة الماء والطعام،

(1) ابن الشحنة، أبو الفضل محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تق: عبد الله درويش، دار الكتاب العربي، دمشق، د. ط، 1984، ص 217.

(2) وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ج2، ص 41-42.

(3) مصياف: حصن مشهور بالساحل الشامي، يقع قرب مدينة طرابلس، ويسمى أيضا مصياف ، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص 144.

(4) حصن الأكراد: حصن منيع يقع بين بعلبك وحمص، المصدر نفسه، ج2، ص 264.

(5) توديبود بطرس، تاريخ الرحلة، المصدر السابق، ص 293.

(6) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص 70.

(7) عمواس: هي كورة من فلسطين تبعد ستة أميال عن الرملة على طريق بيت المقدس، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص 157.

(8) وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ج2، ص 93،94.

حيث أن حاكم المدينة "افتخار الدولة" قام بتسميم الآبار وإخفاء المواشي وتحيد النصارى وتجنيد المصريين والسودانيين في الدفاع عن المدينة⁽¹⁾.

وفي 22 شعبان 492هـ/14 يوليو 1099م بدأت المعركة الحاسمة عندما هم الصليبيون إلى اقتحام أسوار المدينة عن طريق أبراج عالية حيث نصب برجان أحدهما على باب صهيون والثاني على باب العمود ليكونا مطية للجند، ورغم مقاومة المسلمين إلا أن القوات الصليبية تمكنت من الولوج إلى ساحة المدينة بعد اقتحام أحد الأسوار لتسقط بيت المقدس في يد الصليبيين يوم الجمعة 23 شعبان 492هـ/15 يوليو 1099م بعد حصار دام 38 يوماً⁽²⁾.

وكان سلوك الصليبيين المنتصرين غير سلوك الخليفة الكريم "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، نحو النصارى حين دخل بيت المقدس فاتحاً عام 16هـ/637م، حيث أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ولا يكرهون على دينهم، في حين ارتكب الصليبيون الأتقياء وباسم المسيح أبشع الجرائم في حق المقدسين المسلمين ولم يستثنوا امرأة ولا ولد أو شيخاً، وفي ذلك يقول "وليم الصوري"⁽³⁾: "شهدت أرجاء المدينة مذبحاً فضيحة الشناعة وكان وكان الدم المسفوك مخفياً حتى أن المنتصرين أنفسهم ساورهم الإحساس بالخوف وشعروا بالفقرز. ولم يكن "غوستاف لويون" أقل صراحة من ذلك عندما

نقل لنا رواية الكاهن "ريموند أجيل"⁽⁴⁾ والذي كان شاهد عيان عن مجزرة بيت المقدس بقوله: بقوله: "لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان وكانت جثث القتلى تعوم في

(1) وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ج1، ص 94.

(2) فوشيه الشاريتري، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص 76.

(3) وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ج2، ص 126.

(4) ريموند أجيل: كان من شهود العيان ومن كبار الفرسان الذين شاركوا في المعركة ومن المقربين للقائد ريموند كونت تولوز، وهو رجل دين متعصب وصف ما قام به الفرنج من أعمال ضد المسلمين بأنها أعمال تمت على يد جند المسيح، وهذه أسوأ وأبشع الجرائم التي اقترفها الصليبيون في حق المقدسين، له كتاب ترجم بعنوان "تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس" والذي يعد من أهم مصادر الحملة الصليبية الأولى، أنظر: سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، د. ط، ج6، 1993، ص06.

الساحة هنا وهناك وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يُطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة⁽¹⁾، وقد قدر ابن كثير مجزرة ساحة الأقصى ستون ألف قتيل من المسلمين⁽²⁾.

كما لم تَسَلِمَ مقدسات المدينة من السلب والنهب فقد عدد "ابن الجوزي" ما سلب في ذلك اليوم بقوله⁽³⁾: "وأخذوا من عند الصخرة نبهاً وأربعين قنديلا فضة كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمئة درهم، وأخذوا تتور فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا نبهاً وعشرين قنديلا من ذهب، ومن الثياب وغيره ما لا يحصى"، وعليه فقد دَوَّن الكثير من المؤرخون الشرقيين والغربيين هذه المجازر وبأوصاف مختلفة ولكنهم اتفقوا في حدتها وبشاعتها والتي طالت حتى خوارج النصارى واليهود.

أما افتخار الدولة حاكم المدينة الفاطمي فقد احتفى مع طائفة من جنده بمحراب دواد -عليه السلام- وقاتلوا ثلاثة أيام لكنهم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح وسلموا المحراب بعد أن أمنهم الصليبيون وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان⁽⁴⁾، وبذلك صارت بيت المقدس الإمارة الصليبية الثالثة بعد الرها وأنطاكية، وأختار الصليبيون "جودفري" أمير على بيت المقدس في 1 رمضان 492هـ/22 يوليو 1099م ولقب بحامي الضريح المقدس⁽⁵⁾، لتدخل مرحلة جديدة من الصراع الإسلامي الصليبي.

2. أثر الهجرات السكانية على بلاد الشام:

- (1) غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، 2013، ص 338.
- (2) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تح: عبد الرحمان اللاذقي، محمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997، ج12، ص 156.
- (3) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج17، 1992، ص 47.
- (4) ستيفن رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، تر: الباز لعريني، دار الثقافة، بيروت، ط1، ج1، 1996، ص 425.
- (5) فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص 77.

بدأت الهجرات السكانية في بلاد الشام منذ دخول الصليبيين إليها عام 490هـ/1097م، فمنهم من هاجر بعد عقود الأمان التي تكفل لهم حق المغادرة والتي إلتمز بها الصليبيون تجاههم، وهناك من فرَّ بسبب المذابح التي قام بها الصليبيون في بعض المدن، وهناك من أخلو مدنهم بالكامل قبيل قدوم الصليبيين إليها⁽¹⁾.

كان لهذه الهجرات أثارها السلبية على مختلف جوانب الحياة في المنطقة، ولاسيما من الناحية الديموغرافية، فالمسلمون أصبحوا أقليات في المدن الصليبية الكبيرة⁽²⁾، واليهود تضألت أعدادهم في فلسطين والإمارات الصليبية، وفاق عددهم في دمشق⁽³⁾.

كما أن المدن التي تقبلت هذه الهجرات، أصبحت تعاني من الازدحام السكاني الشديد، وبما أن المدن السورية كانت هي أكثر المدن استيعاباً لهؤلاء المهاجرين، كانت هي أكثر معاناة لاسيما مدينة دمشق التي ضاقت بأهلها بعدما ضعف عدد سكانها، لهذا ضاقت فيها الأزقة، وشكل ذلك عبئاً ثقيلاً على المدينة⁽⁴⁾.

كان حال المدن التي هجر الصليبيون سكانها، تعاني من قلة السكان، خاصة المدن الساحلية مثل: "عكا وحيفا" وغيرها، أما بيت المقدس فقد قتل غالبية سكانها، وهجر الصليبيون من نجا منهم⁽⁵⁾، كما أنهم أصدروا قانوناً يمنع المسلمين واليهود من الرجوع إلى بيت المقدس، أو العيش فيها مرة أخرى⁽⁶⁾، وعمل الصليبيون على تشجيع النصارى الشرقيين الشرقيين على الهجرة إليها لإعمارها من جديد، ولا شك في أن الصليبيون قاموا بوضع

(1) سيفان إيمانويل، اللاجئين السوريون الفلسطينيون زمن الحملات الصليبية، تر: حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دراسات في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 79 - 81.

(2) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، د. ط، 1993، ص 201 - 203.

(3) ستيفن رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج2، ص 473.

(4) سيفان إيمانويل، اللاجئين، المرجع السابق، ص 83.

(5) يوسف درويش غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، عمان، د. ط، 1983، ص 145 - 146.

(6) وليم الصوري، تاريخ الحروب، المصدر السابق، ج2، ص 318.

سياسة التهجير، لتحقيق هدفا رئيسيا من أهداف الحملة الصليبية الأولى، وهو القضاء على المسلمين وطردهم من بلادهم والاستيلاء عليها⁽¹⁾.

من الناحية الدينية فإن تهجير السكان وطردهم من مدنهم كان من العوامل المؤثرة التي أدت إلى بعث فكرة الجهاد ضد العدو الصليبي⁽²⁾، وذلك بسبب اكتظاظ المدن باللاجئين المهاجرين إلى البلاد الإسلامية دمشق مثلا أثار مشاعر الاستياء ضد القيادات السياسية، وأدى إلى ظهور الأصوات على المنابر في المساجد وفي صلاة الجمع التي تدعو إلى الجهاد⁽³⁾.

ومن الناحية الاجتماعية، فقد تغير الوضع الاجتماعي لبعض الفئات في هذه الفترة، مثل المسيحيون الشرقيون الذين يسكنون شرقي نهر الأردن وحواران، وذلك بعد تهجيرهم إلى بيت المقدس، إذ أصبحوا سكان مدن بعدما كانوا قرويين، ونتيجة لما حدث من مصاهرة بين المهاجرين الفرنجة، ظهر جيل جديد من الأطفال لقبوا بالبولان⁽⁴⁾.

ومن الناحية الاقتصادية، فقد تأثرت الزراعة بصفة خاصة وذلك لهجرة الفلاحين من أراضيهم، حيث كانوا دائما هم الفريسة لأي هجوم صليبي، مما يجعلهم يهجرون أراضيهم ويحتتموا بمدن أخرى، مثلما حدث في الأراضي الزراعية التابعة لإمارة حلب⁽⁵⁾.

كما أدت الهجرة السكانية إلى تعطيل الزراعة في العديد من المدن الساحلية الفلسطينية التي استولى عليها الصليبيون وهجروا سكانها منها، حيث ذهب هؤلاء على المناطق

(1) قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية نصوص ووثائق، خطبة البابا أوربان الثاني كما نقلها روبرت الراهب، بيروت، د ت، ص 79. أنظر أيضا: حسين محمد عطية، المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام، ضمن كتاب مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي 491هـ - 690هـ، ص 377.

(2) محمد مؤنس عوض، فكرة الجهاد الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2006، ص 17.

(3) علي السيد علي محمود، المقاومة الشعبية للغزوة الصليبية في بلاد الشام 490هـ - 690هـ/1097م - 1291م، مجلة العصور، لندن، م6، ج2، 1991م، ص 233، 234.

(4) ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج2، ص 163، 164.

(5) سعيد عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، د.ط، 1977م، ص 36.

المجاورة كشرقي الأردن ودمشق، ومنذ عام 504هـ/1110م نجد تغير في السياسة الصليبية تجاه سكان البلاد التي استولوا عليها، فعندما سقطت صيدا عام 1110م أبقى الصليبيون على سكان المدينة من الفلاحين وغيرهم، ولم يخبروهم على الهجرة كما حدث في المدن التي سقطت سابقاً⁽¹⁾.

كما تأثرت الأوضاع الاقتصادية للمهاجرين أنفسهم إذ عانت أعداد غفيرة منهم من ضيق ذات اليد ومن صعوبات مادية جمّة، لكون الأغلبية منهم قد اضطرت إلى الهجرة من بلادها دون اصطحاب أمتعتها⁽²⁾، كذلك تأثر التجار، ولا سيما في المدن الساحلية جراء العدوان الصليبي، الذي أدى إلى هجرتهم من مدنهم، وبعد سقوط قيسارية وعكا وصيدا وجبيل وطرابلس هاجر التجار من هذه المدن إلى صور لمناعتها وحصانتها. وكان لها علاقات تجارية مع مدن البحر الأبيض المتوسط وبها العديد من التجار، وقاموا بشراء المنازل الغالية هناك، وبعد سقوط صور عام 518هـ/1124م، اضطرت هؤلاء التجار إلى الهجرة منها مرة أخرى، وهاجر معظم تجار صور ومعظم سكانها⁽³⁾، دون أن يأخذوا معهم جميع ثروتهم، وفي هذا الشأن يقول ابن الأثير: "وتفرقوا في البلاد وحملوا ما أطاقوا، وتركوا ما عجزوا عنه"⁽⁴⁾.

هكذا تبدلت أوضاع هؤلاء المهاجرين، بعدما كانوا تجار أغنياء يمارسون تجارتهم في مدينتهم أصبحوا مهاجرين لاجئين فقدوا الكثير من أموالهم وممتلكاتهم.

من خلال هذا نستخلص أن هجرة سكان المدن الكبيرة كانت تتم غالباً بعد سقوطها في يد الصليبيين، وهذه الهجرات بدأت منذ أن وطئت أقدام الصليبيين شمال بلاد الشام، وأن

(1) يوسف درويش غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن، المرجع السابق، ص 187.

(2) سيفان إيمانويل، اللاجئون، المرجع السابق، ص 83.

(3) وليم الصوري، الحروب الصليبية، تر: حسين حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ج3، 1994، ص 27.

(4) ابن الأثير، أبو حسن علي الجوزي، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1997، ص 2311.

كثيرا من الهجرات السكانية من المدن الصغيرة والقرى، قد حدثت قبيل قدوم الصليبيين إليها، وذلك لخوفهم من الصليبيين إثر سمعتهم الوحشية التي سبقتهم.

المبحث الثاني: حصار مدن الشام وتأسيس الإمارات الصليبية:

1. تأسيس إمارة الرها وسقوطها:

• مدينة الرها:

كانت الرها⁽¹⁾ أول إمارة فرنجية صليبية أسسها "بلدوين"⁽²⁾ في الشرق بعد اجتيازه بجيشه الحاجز الجبلي الضخم جبال في طرطوس⁽³⁾ في مارس سنة 491هـ/1098م. وتمتاز الرها بمساحتها الواسعة وديارها العامرة، وسورها الحصين المبني بالحجارة الذي تدخله مياه الأنهار وتخرج منه، وفي أعالي السور نجد العديد من الأبراج العالية، وللمدينة أربعة أبواب على الباب الشرقي منها حصن منيع، ولها قلعة مبنية على جبل يتصل بسور المدينة من الجنوب الغربي والقلعة محاطة بخنادق عميقة محصنة بأبراج عالية، وفي المدينة العديد من الينابيع تجري منها الأنهار، ومستودعات يخزن فيها الحبوب والمؤن⁽⁴⁾، على الرغم أن هذه الإمارة الصليبية كانت أقصر عمرا فهي لم تدم سوى ستة وأربعين عاما قضتها في الصراع ضد المسلمين بسبب قوتها الحربية ومقدرتها العسكرية حتى استطاع "عماد الدين زنكي" استردادها سنة 539هـ/1144م⁽⁵⁾.

ولم تقتصر أهمية إمارة الرها على موقعها الاستراتيجي فقط، وكونها خط الدفاع الأول عن بقية الإمارات الصليبية في بلاد الشام، بل أنها شكلت خطرا أساسيا على خطوط

(1) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت بأسد الذي استحدثها وهو الرها بين البلدين بين مالك بن دعر، وأغلب أهلها نصارى، وتوجد بها الكنيسة، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص 106. وأنظر أيضا: الملحق رقم 02، ص 100.

(2) بلدوين: هو الأخ الأصغر لجودفري وربما كان أكثر ثقافة وقد أسس إمارة الرها الصليبية، أول إمارة في الشرق، أنظر: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة، المصدر السابق، ص 68.

(3) طرطوس: مدينة في بلاد الشام مشرقة على البحر المتوسط، بالقرب من مدينة اللاذقية، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص 30.

(4) القلقشندي، أو العباس الأعشى، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987، ج14، ص 144.

(5) ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الأباء اليسوعيين، 1908، ص 436 - 438.

المواصلات الإسلامية بين بلاد الشام وآسيا الصغرى والعراق ومنطقة الجزيرة⁽¹⁾، إضافة إلى تحكمها في طرق المواصلات بين آسيا وأوروبا والبحر المتوسط، ولما كانت تشكل من منطقة حدود بين العالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾.

وقد نوّه "ابن الأثير" بأهمية مكانتها في بلاد الجزيرة بسبب موقعها بين الموصل وحب، أي بينها قاعدة كما في شمال العراق وقاعدتها في شمال الشام، ووصفها بأنها من الديار الجزرية، ومن البلاد الإسلامية حصنها مما جعل القوى الإسلامية سواء في العراق أو الشام أو الجزيرة ترغب في السيطرة عليها⁽³⁾، لكونها تمثل أحد المناطق نفوذًا للمسلمين وكانت أكبر إمارة صليبية وأشدّها خطرًا على المسلمين⁽⁴⁾.

أما بالنسبة للصليبيين فقد تحملت عبء الدفاع عن بقية الإمارات الصليبية في بلاد الشام وذلك لقربها من الخلافة العباسية، ثم لوقوفها في وجه التركمان الذين تعج بهم منطقة الجزيرة عقب التفكك الذي أصاب السلاجقة في بلاد الشام والعراق مع وفاة السلطان "ملك شاه" 485هـ/1095م.

وعلى الرغم من أن الرها لا تقع ضمن المناطق المقدسة في فلسطين فقد عدها الصليبيون عندهم من أشرف المدن بعد بيت المقدس، وأنطاكية، والقسطنطينية⁽⁵⁾

(1) مسفر بن سالم عريج الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط1، 1986، ص 230، 231.

(2) محمود محمد فالح الرويضي، إمارة الرها الصليبية 1097 - 1155م/490 - 550هـ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، الجامعة الأردنية، 1997، ص 44.

(3) ابن الأثير الجزري، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 1963، ص 66، 67.

(4) وليم الصوري، الحروب الصليبية، تر: حسن الحبشي، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، ج1، 1998، ص 671 - 275.

(5) عالية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص 40.

• تأسيس إمارة الرها:

تمكن "بلدوين" من الاستيلاء على كثير من المدن والقلاع في شمال الجزيرة، وذلك بفضل مساعدة العنصر الارميني، الذي كانت له السيادة في تلك الجهات، والذي نظر إلى تقدم الصليبيين بعين الرضى رغبة منه للتخلص من حكم الأتراك المسلمين، وقد أشار ابن الأثير إلى امتلاك الصليبيين الرها في قوله: "إنهم ملكوا مدينة الرها بمكاتبه من أهلها لأن أكثرهم أرمن، وليس بها من المسلمين إلا القليل"⁽¹⁾.

خرج "بلدوين" مع الجيش واتجه إلى الرها، وفي طريقه إليها تم تسليم له كل المدن دون استعمال السلاح، ثم وصل إلى الرها، وكان أغلبية سكانها من الأرمن، فاستقبلته بالترحاب وكان هذا فوق يد أميرها اليوناني "ثوروس" الذي كان طامعا في أن يستقل بالمدينة ليصبح تابعا للدولة البيزنطية مكان "بلدوين"، غير أن الأمير تعامل مع الأمر، وقرر أن يأخذ حلا وسطا، وهو أن يصبح بلدوين بمثابة ابنه ومن ثم يصبح الوريث الشرعي له على مدينة الرها فوافق "بلدوين" على ذلك، لكنه اتفق مع بعض سكان الأرمن على الثورة ضد "ثوروس"، وبالفعل شنوا عليه الحرب وقتلوه، ليقف "بلدوين" على زمام الأمور ومقاليد الحكم في المدينة بعد أن طالب به الأهالي وأرادوه حاكما لهم، ودخلوا به قلعة المدينة، حيث كسب كل الأموال والثراء الواسع ليؤسس بذلك أول إمارة صليبية في العالم الإسلامي، وهي إمارة الرها، وذلك في 8 مارس 491/1098هـ⁽²⁾.

• سقوط الرها:

أراد أهالي الرها من الأرمن استغلال تواجد الصليبيين على مشارف بلاد الشام، فأخذوا يرسلون قادة الصليبيين، للتخلص من الحكم السلجوقي الإسلامي، فلبى أحد القادة ذلك، فوصل إليهم "غود فري بويون" وشقيقه "بودوين" منتهزا هذه الفرصة السانحة، ودخل المدينة،

(1) ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط4، ج9، 2003، ص 43.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1972، ص 134 - 135.

ثم غدر بحاكمها الأرمني "طوروس"، حيث تعمد غود فري بويون تركه وحيدا ليهلك، ثم ليصفوا به الجو ويحل محله في حكم الرها في التاسع من مارس 1098م وكوّن بذلك إمارة فيها وعلى ما حولها كونتية فرنجية ذات حكم ذاتي في الرها، وطرد المسلمين منها واستمرت هذه الإمارة إلى أن أزالها زنكي سنة 539هـ/1144م⁽¹⁾

2. حصار أنطاكية واحتلالها من قبل الصليبيين:

• مدينة أنطاكية:

تقع مدينة أنطاكية على نهر العاصي، وتبعد عن البحر المتوسط 12 ميلا تقريبا (20 كلم)، وتقع على أول طريق الشام للقادمين من آسيا الصغرى، حيث تقع في شمال بلاد الشام، في الزوايا الشمالية الغربية من سوريا، غربي مدينة حلب.

مدينة أنطاكية محاطة بالجبال العالية من جهتي الجنوب والشرق بالإضافة إلى القلاع والحصون الذي يوفر لها الحماية، وهي محاطة أيضا من الشمال بمستنقعات وأحراش وأسوار عالية من كل جانب، بنيت في عهد الإمبراطور جستينيان (527م/565م).

ذكر ياقوت الحموي⁽²⁾: "أنطاكية بلد عظيم، ذو سور وفصيل، ولسوره ثلاثمائة وستون برجًا، يطوق عليها بالنوبة أربعة آلاف حارس، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل أو سور يصعد مع الجبل إلى قلته فتتم دائرة، وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرة".

تعد هذه المدينة من أحسن مدن الشام، بل من أفضل مدن العالم آنذاك، وتمثل بطبيعتها حصن لا يمكن الاستيلاء عليها، وكانت تحيط بالمدينة أسوار هائلة⁽³⁾.

(1) سامي ملغوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 52.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص 266.

(3) ماير هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، تر وتحو: عماد الدين غانم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 2009، ص 86.

مما لا شك فيه، أن وقوع مدينة أنطاكية عن طريق الحرير⁽¹⁾، قد ساهم في ازدهار النشاط الاقتصادي، كذلك قريبا من مدينة حلب، التي تمثل مركزا رئيسيا لتجارة الشرق الإسلامي.

أما بالنسبة للمسلمين فقد فتحوا أنطاكية مبكرا، في سنة "15هـ/636م" على يد الصحابي الجليل "ابن عبيدة بن الجراح"، بعد معركة اليرموك الحاسمة، سار إليها من حلب فحاصر أهلها من جميع نواحيها ثم إنهم صالحوه على حد الجزية أو الجلاء فجلا بعضهم وأقام بعضهم فهي إسلامية أكثر من 460 سنة⁽²⁾.

في القرن السادس الهجري، كان سورها عريضا إلى درجة كبيرة، بحيث أنه كان من الممكن أن يتسع أعلاها لأربعة أحصنة، وعلى هذه الأسفار ثلاثمائة وستون برجاً للمراقبة، بالإضافة إلى قلعة حصينة من الصعب أن تقتحم بنيت فوق سفح جبل سيليبوس⁽³⁾.

كما تعد أنطاكية مدينة داخلية غير ساحلية، إلا أنها على مقربة من البحر المتوسط من جهة الغرب، وبين أنطاكية والبحر إثنا عشر ميلاً، ولها مرسى يقال له السويدية، ترسو فيه المراكب، يرفعون منه أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية، كما يجعل وصول المؤن إليها عن طريق البحر أمراً ممكناً، بل ميسوراً⁽⁴⁾.

(1) طريق الحرير: هو الطريق الممتد من مدينة شنغهاي في شمال الصين، وصولاً إلى مدينة البندقية في إيطاليا، مرورا بتركستان وخراسان وبلاد ما بين النهرين والعراق وبلاد الشام والأناضول، وتسعى الصين حالياً إلى إحياء هذا الطريق من خلال رغبتها في السيادة العالمية من بوابة الاقتصاد. انظر: أبو عساف علي، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، السنة (12)، ع (39-40)، ديسمبر 1991، ص 72-82.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج2، ص 325، 326.

(3) زابوروف ميخائيل، الصليبيون، المرجع السابق، ص 85.

(4) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 330،

كان مناخ أنطاكية يتبع مناخ البحر المتوسط، الحار والجاف صيفا، والداقي والممطر شتاء⁽¹⁾.

تعد مدينة أنطاكية من أهم المدن في منطقة الشام، وآسيا الصغرى، بل أنها كانت من أهم مدن العالم القديم بأسره، وكان سلوقس الأول (358 ق. م - 281 ق. م) قد أسسها سنة 300 ق. م، وسميت باسم أبيه⁽²⁾.

• حصار أنطاكية:

واصل الجيش الصليبي زحفه نحو الشام بهدف استرجاع أنطاكية⁽³⁾، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية سابقا، حيث خاض السلطان ملك شاه معركة ضد سليمان زعيم سلاجقة الروم⁽⁴⁾، ونجح في هزيمته وقتله، وأصبحت أنطاكية جزءا من أملاك تتش، فاختر ملك شاه أن يستولي على المدينة ويمنحها لأحد أتباعه من التركمان وآخر من حكم أنطاكية قبيل وصول الجيش الصليبي إليها هو "ياغي سيان"⁽⁵⁾.

تقدم الجيش الصليبي إلى أنطاكية، وأقاموا عليها الحصار حيث تمركز الأمير "روبرت" من نورمانديا والأمير "روبرت" من فلاندرز والأمير "هيو" من فرماندوا والأمير "ستيفن إتيان" من بلوا بين باب بولس وباب الكلب، إضافة إلى استقرار "بوهيموند" ورجاله النورمان في الجهة الشمالية للمدينة بالقرب من باب بولس في نفس الوقت، انتشر "ريموند كونت تولوز"، والمندوب البابوي "أدهيمار" وفرسان البروقانس بالقرب من باب الكلب في الجهة الغربية من

(1) الحدم، بشير مقبل ناصر، موقف القوى الإسلامية والمسيحية من الغزو الصليبي لأنطاكية، نور حوران للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2018، ص 41، 42.

(2) رانسيان ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، تر: نور الدين خليل، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، ج1، 1994، ص 335.

(3) أنطاكية: مدينة عظيمة تقع على طرق البحر بالشام. أنظر: القزويني زكريا بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ص 150 وأنظر أيضا الملحق رقم 04، ص 102.

(4) رمضان عبد العظيم، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت، ص 350.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات، المرجع السابق، ص 142.

المدينة⁽¹⁾، بينما وضع "جودفري دي بويون" جيوشه في الجهة الشمالية الغربية للمدينة بمواجهة باب الدوق، وبهذه الطريقة تم حصار المدينة باستثناء الجهة الشرقية والغربية حيث كانت محمية بجبل شامخ⁽²⁾.

كان "ياغي سيان" لا يزال في طريقه عائداً إلى أنطاكية قادماً من شيزر، عندما علم بوصول عدد غفير من الصليبيين إلى شمال بلاد الشام، وأنهم هبطوا في بغراس وهاجموا القرى المحيطة بأنطاكية، قام "ياغي سيان" بإرسال شمس الدولة و"محمد إقसार" لطلب المساعدة من جيرانه، توجه أحد الاثنين إلى دقاق وطغتكين لطلب المساعدة منهما، وأرسل رسائله إلى جناح الدولة و"وثاب بن محمود" و"بني كلاب"، في حين توجه محمد إلى التركمان وكربوغا وأمراء الشرق وملوكهم، لطلب المساعدة والنجدة والدعوة للجهاد وتعزيز أمن أنطاكية، وطرد المسيحيين منها⁽³⁾.

بعد ثمانية أشهر من الحصار تمكنت مدينة أنطاكية من الصمود والمقاومة حيث تعرض الصليبيون لظروف صعبة خلال هذه الفترة، من أمطار غزيرة والبرد والجوع والأمراض، وجد الصليبيين طريقة جديدة للحصول على الطعام عن طريق استخدام الأعواد، كما أن المواد الغذائية لم تكن تصل بانتظام عبر البحر، وكان الطريق البري المؤدي إلى أنطاكية الذي يبلغ طوله حوالي عشرين ميلاً غير آمن⁽⁴⁾، هذا ما دفع "روبرت الفلاندر" و"بوهيموند" إلى الخروج من المدينة وشن غارات على المدن المجاورة للحصول على التموينات، وأثناء هذه الأحداث حاول "ياغي سيان" شن هجوماً مفاجئاً على الصليبيين، وقام بنهب مؤناتها ومع ذلك فشل في تحقيق هدفه لكثرة عدد الصليبيين ومهارة "ريموند" في القيادة، وبهذا عاد "ياغي سيان" ومن معه داخل المدينة⁽⁵⁾.

(1) محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط3، 2009، ص 197.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج10، ص 274-276.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص 134.

(4) محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 30.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات، المرجع السابق، ص 146.

تجمعت قوات إسلامية قرب مدينة شيزر لإنفاذ مدينة أنطاكية، كان القائد الرئيسي لهذه القوات هو "دقاق السلجوقي" ملك دمشق، بصحبة أمير حمص "العربي بن ملاعب" و"طغكين أتاك"، عندما علم هؤلاء الأمراء المسلمين أن جزءا من جيش الصليبيين بقيادة "روبرت" أمير فلاندر و"بوهيموند النورماندي" يتقدمان على امتداد نهر العاص، قرروا الخروج لملاقاتهم، واندلعت المعركة بين الطرفين عند موقع البارة⁽¹⁾، وكانت نتيجتها غير واضحة⁽²⁾.

نشأت الفوضى بين الجند، وظهرت أيضا الاعتراضات هنا وهناك، ودعوات بفك الحصار، وأشد من ذلك بدأت تظهر حالات هروب في المنطقة بكاملها، وكانت المفاجئة أنه كان على رأس الفارين "بطرس الناسك" الذي قام بجمع الجيوش في فرنسا قبل ذلك⁽³⁾. كان "بوهيموند النورماندي" يتابع عن كثب هذه الأوضاع ويسعى للاستفادة منها لصالحه الشخصي وطموحاته الكبيرة في السيطرة على أنطاكية، وكان على دراية أن الأمراء الصليبيين سيتنافسون معه على مدينة أنطاكية، وبما أن هذه المدينة كانت تعتبر مصلحة بيزنطية رئيسية في المنطقة⁽⁴⁾، فإن الإمبراطور البيزنطي لن يسمح له بالاستيلاء على أنطاكية، فأخذ قراره في أن يستغل أكثر فترات الحصار صعوبة وكان ذلك في يناير من عام 1098م. أعلن المغادرة إذا لم يتم تسليمه حكم أنطاكية، وافق القادة الصليبيون على ذلك بسبب هروب العديد من أفراد الجيش⁽⁵⁾.

في هذا الوقت، تم إرسال العديد من الحكام السلجوقيين بقواتهم إلى كربوغا، وكان بينهم أمراء القسمين الشمالي والأوسط ما بين النهرين، وأمراء المقاطعات الفارسية ودقاق صاحب

(1) البارة: بليدة أو كورة في نواحي حلب، وبها حصن وهي ذات بساتين. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص 320.

(2) محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة، المرجع السابق، ص 200.

(3) راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ، ط1، 2008، ص 114.

(4) المرجع نفسه، ص. ن .

(5) قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص124،

دمشق، بدأ الجيش الذي تألف من آلاف المقاتلين، بالتحرك نحو الرها، فقد كانت أولوية "كربوغا" هي القضاء على المقر الأساسي للفرنجة، إضافة إلى استمرار جيش أتابك الموصل في البقاء بنواحي الرها لمدة ثلاثة أسابيع، وتوجه نحو أنطاكية، وبذلك تم إضاعة ثلاثة أسابيع أخيرة من شهر ماي في حصار الرها دون أية جدوة ودون تحقيق الهدف⁽¹⁾.

• سقوط أنطاكية:

بدأ الصليبيون صبيحة يوم الاثنين 25 رجب 491هـ / 28 يونيو 1098م، في الخروج من المدينة فرقة تلو الأخرى للقتال، وأشار المسلمون على كربوغا، أن يبدأ في قتالهم قبل أن يكتمل خروجهم، إذ كانوا يخرجون في جماعات صغيرة، غير أنه رفض وأصرَّ على اكتمال خروجهم، ثم يبدأ بقتالهم، يقول بعض المؤرخين: "إن هذا ضيَّع عليه فرصة قتالهم منفردين، وكان خطأ كربوغا القاتل؛ هو عدم أخذه بنصيحة قائده وثاب بن محمود، بأن ينقض على الصليبيين بمجرد خروجهم من أنطاكية"⁽²⁾، ولكن يبدو أنه كان يريد خروجهم بالكامل، حتى لا يبقى أحد منهم بداخل المدينة متحصناً، فخشي إن قاتل الجماعات الصغيرة التي تخرج أن يمتنع بقية الجيش من الخروج، ومن الواضح أن كربوغا كانت تملؤه الثقة بالنفس، والاعتزاز بالأعداد التي معه، وأغرته حالة البؤس التي كانت عليها الجيوش الصليبية، بعد الحصار الطويل، وأيضا طلبهم منه أن يرفع الحصار، كل ذلك أدى إلى تركه لهم حتى اكتمل عددهم، ورتبوا صفوفهم تحت قيادة كل زعمائهم⁽³⁾.

دارت معركة شرسة أمام أسوار أنطاكية، وكانت الغلبة في البداية للمسلمين، لكنَّ الصليبيين كانوا يقاتلون قتال حياة أو موت، وعلى العكس كان قادة المسلمين؛ يقاتلون

(1) ميخائيل زابوروف، الصليبيون ، المرجع السابق، ص91.

(2) ابن الأثير، أبو الحسن الجزري، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج8، 1994م، ص418-420.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، مكتبة أنجلو المصرية، كلية آداب، جامعة القاهرة، د. ط، ج1، 1963م، ص210.

للمحافظة على ملكهم وثوراتهم، وكان من أوائل الذين فروا التركمان⁽¹⁾، بمن فيهم دقاق⁽²⁾ ملك دمشق، في حين ظل سكران بن أرتق، وجناح الدولة حسين آخر من انهزم من الأمراء، ثم فرّ كربوغا في النهاية، وأسرع المسلمون في كل اتجاه، وكانت الأوامر من قادة الصليبيين؛ ألا يلتفت الجيش إلى الأسلاب والغنائم، وإنما يتتبعون المسلمين، وهكذا تمت مطاردة المسلمين حتى حصن حارم، وشارك معهم في تلك المطاردة؛ أهل المنطقة من السريان والأرمن، مما أكد دور المسلحين الشرقيين في دعم المركز الصليبي⁽³⁾، وقتل فيها عدد كبير من المسلمين⁽⁴⁾، وواصل كربوغا فراره إلى الموصل، وكذلك عاد دقاق إلى دمشق⁽⁵⁾، وبذلك لم يحقق الصليبيون انتصارا على سلاجقة الروم فقط، وإنما أيضا على سلاجقة الشام وفارس⁽⁶⁾.

عاد الصليبيون إلى أنطاكية فرحين بالنصر، وعندما شاهد الأمير أحمد بن مروان هزيمة كربوغا وفراره من الميدان، قام بتسليم القلعة لبوهيموند، ورفع علمه فوق القلعة⁽⁷⁾.

(1) ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ص241.

(2) دقاق: شمس الملوك أبو النصر بن تنش بن ألب أرسلان، ولي دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة سنة 487هـ-1094م، فقد كان دقاق عند مقتل والده بجلب، فراسله خادم أبيه ونائبه بقلعة دمشق سزا، بدون علم أخيه رضوان ملك حلب، فخرج دقاق إلى مدينة دمشق وتملكها، فقدم رضوان إلى دمشق وحاصرها ثم رجع عنها، وتوفي دقاق عام 497هـ-1103م، أنظر: الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات 491هـ-500هـ، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، د. ط، 1994م، ص256.

(3) أمير نافع، المسيحيون المحليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية 1097-1291م/491-691هـ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، د. ط، 2016م، ص130.

(4) ريموند أجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1989، ص146.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ج1، ص211.

(6) عماد خليل، دراسات في تاريخ الموصل قوام الدولة أبو سعيد كربوغا، مجلة آداب الرافدين، الموصل، العراق، ع5، 1974، ص151، 152؛ أنظر أيضا: محمد مرسي، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها 1097م/1144م، الاسكندرية: مصر، د. ط، 1972م، ص139-150.

(7) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، 1958م، ص95.

كان خبر سقوط أنطاكية في شهر جمادى الأولى سنة 491هـ/1098م، قد أثار موجة من الذعر والخوف في البلدان الإسلامية بسبب ما حدث لسكانها⁽¹⁾، وانتصب بوهيموند النورماندي أميراً عليها⁽²⁾.

يمثل حصار أنطاكية أحد أهم الحلقات المهمة في الصراع الذي دار بين الجيوش الإسلامية وجيوش الصليبيين في تلك المرحلة الباكرة، والذي استمرّ قرابة ثمانية أشهر، من يوم الأربعاء 12 ذو القعدة 490هـ/21 أكتوبر 1097م، حتى سقوط المدينة يوم الخميس 29 جمادى الآخرة 491هـ/3 يونيو 1098م بعد صمودها لمدة 226 يوماً.

وفي الأخير نستنتج أن سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين خلف آثار جمة ومتعددة، فقد أصبح الطريق إلى بيت المقدس مفتوحاً أمام الصليبيين، بالانتصار على سلاجقة فارس والشام، لأن أنطاكية تعتبر مفتاح بلاد الشام، بالإضافة إلى أن جزء من طريق الحرير الدولي العابر للقارات صار في أيدي الصليبيين، وخنق الاقتصاد الإسلامي في شمال بلاد الشام.

إمارة أنطاكية ثاني إمارة صليبية في المشرق الإسلامي بعد إمارة الرها، صار وجودها تهديداً مباشراً لحلب حاضرة شمالي بلاد الشام، فقد أنفق المسلمون الأرواح والأموال والجهد، في سبيل مواجهة ذلك الكيان الغازي الدخيل (الصليبيين).

3. احتلال بيت المقدس:

• مدينة بيت المقدس:

قد دخلت مدينة بيت المقدس عبر التاريخ في حكم عدد من الإمبراطوريات، ما أدى إلى تغيير اسمها أكثر من مرة، وحصلت على اسمها "القدس" منذ العهد العباسي⁽³⁾.

(1) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن محسن التولي، د. ط، ج 16، 1998م، ص 154.

(2) محمود العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 2، 1982م، ص 52.

(3) صالح محسن، الطريق إلى المقدس، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط 5، 2012م، ص 19، 18.

وهبها الله من القدسية والبركات ما لم يهبه لغيرها من المدن، وفضائل ومناقب بيت المقدس كثيرة لا تحصى، وهي مقام الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومنها المحشر والمنشر ومنها يتفرق الناس إلى الجنة أو إلى النار⁽¹⁾.

فبيت المقدس مباركة بنص القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَنَجِّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء 71]⁽²⁾.

وقال ابن كثير في الأرض التي باركنا فيها، اغناها بلاد الشام، وهي مسرى الرسول ﷺ، وأولى القبلتين، وثاني مسجد بني في الأرض وثالث الحرمين، وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تشد إليها الرحال، وهو منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الاسراء 1]⁽³⁾.

• حصار بيت المقدس:

بعد أن تمكن الصليبيين من احتلال أنطاكية طالبوا قادتهم التوجه فوراً نحو بيت المقدس الذي كان هو الهدف الرئيسي المعن للحملة الصليبية⁽⁴⁾.

توجه الصليبيون نحو بيت المقدس في شهر كانون الأول 1099م وفي منتصف كانون الثاني وصلوا إليها وفرضوا عليها الحصار⁽⁵⁾، بعد أن ظلت الجيوش الصليبية قرابة خمسة عشر شهراً في شمال الشام⁽⁶⁾، واستولوا في طريقهم على مدينة "مغرة النعمان"⁽¹⁾.

(1) الأصفهاني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، دار المنار، القاهرة، ط1، 2004، ص69.

(2) الأنبياء، الآية: 71.

(3) الإسراء، الآية 1.

(4) وليم الصوري، الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج1، 1998م، ص 20.

(5) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، 2000م، ص 52 - 54.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ج1، ص 175.

وقد ذكرها "ابن القلانسي" بقوله: أن الفرنج قد زحفوا إلى أسوار المغرة في الناحية الشرقية والشمالية وهرب سكانها من بطش الصليبيين في 14 محرم 492هـ/11 كانون الأول 1098م⁽²⁾، كما ذكر المؤرخ "ابن الأثير" أنه قتل بالمغرة مئة ألف مسلم مما يدل على الوحشية والحقد الدفين ضد المسلمين⁽³⁾.

ثم توجه الجيش الصليبي لاحتلال مدينة عرفة⁽⁴⁾ في طريقهم نحو بيت المقدس، ثم اتجه الصليبيون بعد ذلك نحو صيدا فبلغوها في 20 حزيران 1099م ولكنهم لقوا مقاومة عنيفة في حمايتها أنهم استطاعوا التغلب عليهم وتابعوا تقدمهم إلى أن وصلوا إلى ضواحيها في 24 حزيران دون أن يدخلوا في صراع ضد المسلمين حتى وصلوا إلى مدينة الرملة في 3 جوان 1099م، الذي هرب منها سكانها خوفا من إرهاب الصليبيين، وبعد استيلاء الصليبيين على الرملة؛ وهي إحدى مدن فلسطين، شيدها الخليفة "سليمان ابن عبد المالك" وسميت بهذا الاسم لغلبة الرمل عليها، وتبعد أكثر من 20 كلم غربي مدينة القدس". قرروا الزحف إلى بيت المقدس⁽⁵⁾، وكان عدد القوات الصليبية نحو أربعين ألفا من كلا الجنسين وبمختلف الأعمار والصفوف من المشاة عشرون ألف رجل ومن الفرسان ألف وخمسمائة مقاتل⁽⁶⁾.

(1) مغرة النعمان: مدينة كبيرة ومشهورة، سميت نسبة إلى الصحابي الجليل النعمان بن بشير رضي الله عنه، وهي من أعمال حسين بين حلب وحسان، ويوجد بها الزيتون بكثرة، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص 136.

(2) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة، تاريخ دمشق، (360-555هـ/1088-1160م)، تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1983، ص223.

(3) ابن الأثير، التاريخ الباهر، المصدر السابق، ص 280.

(4) عرفة: بلدة في شرقي طرابلس لها قلعة صغيرة وهي من أعمال دمشق وبين عرفة وطرابلس تليو مترين، وهي على سفح جبل وتبعد على شاطئي بنتسليتر واحد، انظر: أبو الفداء إسماعيل بن علي محمد بن عمر الملقب بعماد الدين، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ط، د ت، ص 255.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات، المرجع السابق، ص 192.

(6) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، 1958م، ص 144.

• سقوط بيت المقدس:

في صبيحة يوم الجمعة 23 شعبان 492هـ/15 يوليو 1099م، ما لبث أن استؤنف القتال، وبلغ ذروته، واعتمد المهاجمون أسلوباً آخر في القتال، حيث هاجم "جودفري" السور بشكل عنيف، محاولاً أن يقرب منه ببرجه المتحرك وآلات حربه، وكان البرج مغطى بجلود الحيوانات المسلحة حديثاً، وذلك لحمايته من النار الإغريقية⁽¹⁾، والتي كان يرميها المسلمون، مما يدل على أن الصليبيين يطورون أساليبهم وفق مقتضيات الوضع.

تمكن "جودفري" بعد جهد ومشقة من أن يصل ببرجه إلى حافة السور عند ظهر ذلك اليوم، وأن يمد جسراً يصل بين برجه وقمة سور الجدار الشمالي، وفي منتصف النهار تمكن اثنان من مقاتليه وهما "ليتولد وجيلبرت" من تورناي⁽²⁾، من قيادة فرقة كبيرة عبر الجسر إلى قمة السور⁽³⁾، وتبعهم بعد ذلك "جودفري" بنفسه وأخوه "يوسنتاس"، فكانوا أول من دخل بيت المقدس من المقاتلين الصليبيين، بعد ذلك تدافع المهاجمون نحو السور يتسلقونه بسلالهم، على رأسهم "روبرت الثاني أوف فلاندرز" و"روبرت النورماندي" و"تانكريد"⁽⁴⁾، مما جعل المدافعين يتراجعون مذعورين نحو الحرم الشريف لكي يجتمعوا به.

لما احتل جودفري الجهة الشمالية، وتوغل في المدينة، في هذه الأثناء كان "ريموند" واللذين معه في المنطقة المجاورة، في الجهة الجنوبية الشمالية، أي من جهة جبل صهيون، جاهلين تماماً أن تم الاستيلاء على المدينة، وكذلك خصمه افتخار الدولة، إلا أن صرخات الجنود المنتصرين، وصيحات الرعب والفرع التي كانت تصدر عن المسلمين الهاربين من

(1) ياسين السويد، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، دار المتلقي، بيروت، ط1، 1997، ص 66.

(2) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج1، ص 434.

(3) فترة حكم الصليبيين للمدينة المقدسة، كان هناك صليب كبير من الحجر في ذلك المكان، يذكر باستيلاء الصليبيين

على المدينة، أنظر: ماير هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 94.

(4) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج1، ص 433، 434.

وجه المهاجمين⁽¹⁾، أيقظت افتخار الدولة على الحقيقة المرة، كما نبهت "ريموند" إلى انتصار حلفائه من الجهة الشمالية.

تراجع افتخار الدولة ورجاله نحو القلعة "حصن داوود" ليعتصم فيها، وتخلي عن البرج بريموند، تقدم "ريموند" إلى السور، وأنزل الجسر، ورفع سلاله إلى الأسوار، ودخل المدينة من دون مقاومة، أو دون أدنى إعاقة⁽²⁾، من قبل المسلمين الذين كانوا قد تخلوا نهائياً عن القتال، وفتح "ريموند" الباب الجنوبي باب صهيون لمقاتليه فدخلوا المدينة منتصرين⁽³⁾.

هكذا سقط بيت المقدس في أيدي الصليبيين يوم الجمعة 23 شعبان 492هـ/15 يوليو 1099م، وقت أذان الظهر⁽⁴⁾، وذلك بعد أن حاصروها 39 يوماً⁽⁵⁾، من يوم الثلاثاء 19 رجب 492هـ/7 يونيو 1099م؛ إلى يوم الجمعة 23 شعبان 492هـ/15 يوليو 1099م. بسقوط بيت المقدس تكونت مملكة بيت المقدس، وهي ثالث الإمارات الصليبية بعد إمارة الرها وإمارة أنطاكية، لقد كانت وقائع وأيام لا يستطيع المسلم أن ينساها، فإذا كانت المدينة لمدة ستة أشهر بعد المذبحة تتصاعد منها روائح الجثث، فإن المذبحة ظلت في ذاكرة المسلمين لمدة تسعين عاماً.

4. حصار طرابلس وسقوطها:

• إمارة طرابلس:

طرابلس أول مدينة فينيقية شمالية⁽⁶⁾ تقع على بعد بضعة أميال من البحر، ولم تذكر في الكتاب المقدس، واسمها القديم الفينيقي غير معروف⁽¹⁾، وأن أصل لفظة طرابلس فينيقية

(1) المصدر نفسه، ص 435.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج8، ص 424.

(3) توديبود بطرس، تاريخ الرحلة، المرجع السابق، ص 317.

(4) يحدد بطرس توديبود وقت دخول المدينة بالساعة التي صلب فيها المسيح، ومن المفروض أنها الساعة الثالثة ظهراً، أنظر: توديبود بطرس، تاريخ الرحلة، المرجع السابق، ص 317.

(5) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج8، ص 424.

(6) هنري لامنس، تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، مجلة المشرق، بيروت، ط2، ج2، 1914، ص 162.

يونانية ويعني ثلاث مدن وهو تفسير يشير إلى أن المدينة كانت في بداية أمرها ثلاثة أحياء مسورة ومنفصلة هي: "حي الصوريين، وحي الصيداويين وحي الأرواديين"⁽²⁾.

فضلا عن ذلك فقد ذكر "القلقشندي" في هذا الخصوص⁽³⁾: "ومعنى أطرابلس فيما يقال ثلاث مدن، وقبل مدينة الناس"، أما ابن تغري بردي فقال⁽⁴⁾: "بأن طرابلس كانت عبارة عن ثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومي"، أو أنها كانت تتشكل من ثلاث قرى كانت تعرف بـ "ينوام، نوغس وهرنكير"⁽⁵⁾.

وقد أخذ السيد "عبد العزيز سالم"⁽⁶⁾ برأي آخر: وهو أن الاسم الفينيقي القديم لطرابلس هو "ترجيل" أي جبل الله الذي يقع شرقي مدينة طرابلس، وهو الاسم الذي عرف فيما بعد إلى "تريبوليس" تأكيد على وجود ثلاثة أحياء في المدينة وهي: "صور وصيدا وأرواد".

أما عن موقع طرابلس الجغرافي فهي تطل بواجهة طويلة على البحر المتوسط⁽⁷⁾، من ثلاث جهات والجهة الرابعة تواجه الياوس وفيها مدخل المدينة الرئيسي⁽⁸⁾، وهذا الموقع قد جعلها ملتقى ومفترق الطرق العالمية وهمزة وصل بين الشرق والغرب من الناحية التجارية، فالطريق الشمالية للقوافل التي تنتقل باستمرار بين الخليج العربي والبحر المتوسط إنما كانت تنتهي في طرابلس نفسها⁽⁹⁾، كما أنها باب آسيا نحو حلب ودمشق وبغداد والموصل وبلاد الخليج العربي⁽¹⁰⁾.

- (1) جرجي يني، تاريخ سوريا، المطبعة الأدبية، بيروت، د. ط، 1881، ص 371.
- (2) أمين الريحاني، قلب لبنان، بيروت، د. ط، 1965، ص 449.
- (3) القلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج5، 1962، ص 334.
- (4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج5، 1963، ص 341.
- (5) عمر تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ج1، 1984، ص 25.
- (6) السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، 1987، ص 7-5.
- (7) جودة حسنين جودة، جغرافية لبنان الإقليمية، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ط، 1985، ص 13.
- (8) وفاء محمد إبراهيم، ساحل الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة المنيا، 1998، ص 35.
- (9) هنري لامنس، تسريح الأبصار، ج2، ص 160.
- (10) جونز، مدن بلاد الشام، تر: إحسان عباس، دار الشرق، عمان، 1987، ص 60.

كما كانت تشرف في المناطق الشمالية على الحشيشية من طريق قلاع والقلعة والمرقب، وقد أنشأ هؤلاء الحشاشين إمارة لهم في قلاع الدعوة منها: مصياف، والقدموس والرصافة، والكهف والخبابي⁽¹⁾، أما حدودها الجنوبية فيحدها نهر المعاملتين⁽²⁾ الذي يمر بجوينة الواقعة شمالي بيروت، وإلى الشرق من سلسلة جبال لبنان المرتفعة، يقع أخدود وادي الليطاني ومنابع نهر الأورنت وهي المنطقة المعروفة بإقليم البقاع ومركزه، حيث يصل المرء إلى جبيل عن طريق المنيطرة، وإلى طرابلس عن طريق بشرى ووادي نهر قاديشا⁽³⁾.

فقد أصبح لموقعها أهمية كبيرة على ممر العصور، فهي تقع في سفح جبل لبنان، عند نهاية وادي جبال لبنان، وجبال النصيرية إلى الشمال منها⁽⁴⁾، ويعد هذا الطريق المنفذ الكبير الكبير للهجرات كما أنه في الوقت نفسه طريق الغزوات القديمة، وإلى جانب هذا الممر المهم تقع طرابلس عند منتصف الطريق الساحلي، لشرقي البحر المتوسط، وقد سلك قسم من الحملات البيزنطية والصليبية هذا الطريق الساحلي⁽⁵⁾.

حصار طرابلس:

بعد أن سيطر الجيش الصليبي على بيت المقدس توجه لحصار طرابلس⁽⁶⁾، بقيادة ريموند المنجيلي⁽⁷⁾، حيث تمكن من إخضاع عدة مدن مثل شروعه في فرض الحصار على المدينة، فاستولى على طرطوس في 490هـ واتخذها قاعدة عسكرية مؤقتة، ثم استولى على مدينة جبلة الواقعة شمال غرب بلاد الشام وبالضبط جنوب مدينة اللاذقية

(1) ناصر خسرو، سفرنامه، تر: يحيى الخشاب، دار الكتاب، بيروت، 1970، ص 48.

(2) نهر المعاملتين: يقصد بها في جبل لبنان معاملتان، الأولى معاملة طرابلس وأولها شرقي طرابلس، وآخرها جسر المعاملتين بين جونيه وجبيل، ومن هذه المعاملة ثمان مقاطعات. انظر: طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، بيروت، د. ط، 1954، ص 18.

(3) جاك ريسلر، الحضارة العربية، تر: غنيم عبدون، القاهرة، د. ط، 1968، ص 3.

(4) سميح وجيه الزين، تاريخ طرابلس قديما وحديثا، دار الأندلس، بيروت، د. ط، د. ت، ص 19.

(5) المرجع نفسه، ص 20.

(6) طرابلس: مدينة تقع على شاطئ البحر المتوسط وتميزت بسورها الصخري القوي البنيان وقد في بساتينها في القوامة ما لا يوجد في سائر الأقاليم. أنظر: أبو الفداء، المصدر السابق، ص 250.

(7) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 450.

499هـ/1105م بمساعدة الجنوبيين⁽¹⁾، وشرع في تشييد قلعة ضخمة لمواجهة المسلمين واكتمل بناؤها وسمّاها "جبل الحاج" وعند العرب قلعة صنجيل تكون مقرا لحكمه سنة 1104م⁽²⁾، وبعد مضي عام قام "ابن عمار" بحرق هذا الحصن حيث أصيب ريموند بجروح واشتد عليه المرض الذي أدى إلى وفاته في 28 شباط 1105م دون أن يحقق هدفه في الاستيلاء على طرابلس⁽³⁾.

سقوط إمارة طرابلس:

نجد في طرابلس أن السلطة عندما آلت في نهاية المطاف إلى "فخر الملك ابن عمار" 492 - 502هـ/1099 - 1109م أظهر بطولة كبيرة في مقاومة الضغط الصليبي على طرابلس، فدافع عنها بما توفر لديه من إمكانات وكان صمود أهلها وصبرهم واستبسالهم سببا رئيسا في تأخر سقوط مدينتهم بأيدي الصليبيين التي ظلت تجالد الغزاة طوال سبع سنوات، فبعد استقرار القوات الصليبية التي كانت بقيادة الكونت "ريموند" في المنطقة الكائنة شمال مدينة طرابلس سيطرت هذه القوات على اللاذقية وجبله⁽⁴⁾، التي أصبحت نواة لإمارة طرابلس طرابلس الصليبية، وكانت هذه القوات تقوم بغارتها على المناطق المجاورة من هذه القاعدة وفي هذه الأثناء ريموند مد نفوذه إلى مناطق سلاجقة الروم، إلا أنه مُني بفشل ذريع مما جعله يصمم على فتح طرابلس من خلال تشديد الحصار عليها⁽⁵⁾.

ونتيجة لتأزم الموقف في طرابلس واشتداد الحصار عليها، وتباطأ الفاطميين في إرسال النجيدات، حيث لم تصل أية إمدادات من بغداد ومن القاهرة إلى طرابلس، وعلى الجانب الآخر نجد أنه في بداية شعبان من سنة 502هـ/1109م وصل إلى الصليبيين الموجودين

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع السابق، ج1، ص 348.

(2) وليم الصوري، المصدر السابق، ص 244 - 260.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، المصدر السابق، ج5، ص 186.

(4) حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، د. ط. د. ت، ص 170، 171.

(5) حسين أحمد أمين، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب والمعاصرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط، 1983، ص39.

حول طرابلس أسطول كبير من أوروبا يحمل التعزيزات والمؤن، فاستقاد منها الغزاة وفي هذه الأثناء اجتمعت القوى الصليبية بعد تكاتفها على حصار طرابلس وفتحها⁽¹⁾.

أرسل والي طرابلس "ابن أبي الطيب الفاطمي" إلى الملك "بلدوين" رسالة يعرض عليه فيها شروط التسليم وطلب الأمان لكل من أراد الخروج من المدينة من سكانها بما يحمله من متاع، ومن أراد منهم البقاء في طرابلس والاحتفاظ بأمواله وممتلكاته أن يؤدي عنها ضريبة سنوية، فوافق "بلدوين" على هذه الشروط. وفي 12 يوليو 1109م/10 ذي الحجة 502هـ دخل الصليبيون طرابلس، وألزم بلدوين بالاتفاق فلم يتعرض للنهب والتخريب ما كان بيده من مناطق⁽²⁾.

أما الجنويون الإيطاليون فإنهم شقوا طريقهم إلى داخل المدينة بعد أن تبين لهم خلوها من وسائل الدفاع فأخذوا ينهبون ويحرقون الدور ويقتلون كل من صادفهم من المسلمين، ولم تستطع السلطات كبح جماحهم إلا بعد زمن غير قصير، وفي غمرة هذه الفوضى أتى الحريق على كل مكتبة بني عمار التي تعد أروع مكتبات العالم في ذلك العصر، فحلّ الدمار بكل ما تحتوي عليه⁽³⁾.

وقد أحدث سقوط طرابلس بيد الصليبيين دويًا هائلًا في جميع أنحاء البلاد الإسلامية، وأعقب سقوط هذه المدينة سقوط المدن الساحلية التي سرعان ما انهارت مقاومتها، على الرغم من وصول الأسطول الفاطمي الذي أبدى مقاومة وبسالة كبيرة في سبيل إيقاف استنزاف المدن الواحدة تلو الأخرى، إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك على الرغم من الانتصارات التي حققتها فيما بعد تلك المعارك⁽⁴⁾.

(1) ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج2، ص 110.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج9، ص 163.

(3) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج10، ص 475.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، المصدر السابق، ج5، ص 179.

كما أنه بعد احتلال الصليبيون طرابلس، جعلوها عاصمة الإمارة اللاتينية الرابعة التي أسسوها في الشرق⁽¹⁾، تحت اسم كونتية أو إمارة طرابلس اللاتينية والتي امتدت من المرقب إلى جبيل⁽²⁾.

(1) عمر تدمري، تاريخ طرابلس، المرجع السابق، ج1، ص 18.

(2) فليب حتي، لبنان في التاريخ، المرجع السابق، ص 355.

المبحث الثالث: دور الطوائف العرقية في المقاومة:

1. المغاربة والأندلسيين:

كان للمغاربة والأندلسيين دور فعال في مقاومة الصليبيين، لم يكن الأندلسيون والمغاربة نزلاء بلاد الشام، بعيدين عن المعارك، التي خاضها العرب المسلمون ضد الصليبيين وغيرهم. ومسألة اشتراكهم في الحرب وخاصة ضد الصليبيين، تبدو من المسائل الطبيعية جدا لاسيما وأنهم كانوا في حروب شبه دائمة مع المسيحيين قبل أن تنشب الحروب الصليبية في المشرق، لكن المؤرخين لم يسيروا إلى هذا الاشتراك بشكل مباشر، بمعنى لم يتحدثوا عن مجموعة معينة منهم شاركت بشكل مستقل عن الجيش الشامي⁽¹⁾. وأن الأندلسيين والمغاربة، اشتركوا وبمجموعات كبيرة إلى حد ما. ومشاركتهم في الحرب ضد الصليبيين ومن بعدهم التتار، لم تكن على صورة واحدة فحسب، ومنهم من قدم المال لتجهيز عدد من المقاتلين إلى غير ذلك، ومن أشهر الحوادث المعروفة عن الأندلسيين والمغاربة، تعود إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فعندما حاول الصليبيون احتلال مدينة دمشق سنة 543هـ/1149م اجتمع أهلها لتدارس الطرق والأساليب الناجعة من أجل الدفاع عن مدينتهم، فكان "يوسف بن دوباس المغربي الفندلاوي" أشدهم حماسا واستعدادا لخوض الحرب من أجل أن تبقى دمشق نظيفة من دنس المعتدين⁽²⁾.

أسهم الأندلسيين والمغاربة في معارك بلاد الشام ضد الصليبيين، حيث اشتركوا في الحرب إلى جانب سكان الشام، ودليل ذلك الملاحظة التي دونها الرحالة "ابن جبير الأندلسي" خلال زيارته لبلاد الشام في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، وهذا الاشتراك كان على شكل مجموعة كبيرة العدد، ما جعل الصليبيين يلجؤون إلى اتخاذ قرارات مضادة للأندلسيين، وذلك بفرض ضريبة عليهم دون غيرهم، جزاء اشتراكهم مع العرب

(1) علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، دار طلاس، دمشق، ط1، 1989، ص 281 - 321.

(2) المرجع نفسه، ص 302.

المشاركة ضدهم، يقول ابن جبير⁽¹⁾ عندما زار حصن تبنين: "فأجزناه ومشينا عنه يسيرا وانتهينا إلى حصن كبير من حصون الإفرنج يعرف بتبنين، وهو موضع تمكيس القوافل، وصاحبته خنزيرة تعرف بالملكة، وهي أم الملك الخنزير صاحب عكة، دمرها الله، فكان مبيتنا أسفل ذلك الحصن، ... والضريبة فيه قيراط من الدنانير الصورية على الرأس، ... ولا اعتراض على غيرهم من جميع بلاد المسلمين، وسببها أنّ طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين - رحمه الله - أحد الحصون فكان لهم في أخذه غنى ظهر واشتهر، فجازاهم الإفرنج بهذه الضريبة المكسية، ألزموها رؤوسهم، فكل مغربي يزن على رأسه الدينار المذكور في اختلافه على بلادهم، وقال الإفرنج: إن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون على بلادنا ونسالهم ولا نرزأهم شيئاً، فلما تعرّضوا لحربنا وتألّبوا مع اخوانهم المسلمين علينا وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم". فللمغاربة في أداء هذا المكس سبب من الذكر الجميل في نكايتهم العدو يسهله عليهم ويخفف عنهم.

ومما يؤكد اشتراك المغاربة بالحرب مع صلاح الدين في معارك التحرير في حال غياب الإحصاءات الدقيقة، إلا أن "ممدوح حسين" يذكر عن "صلاح الدين منجد" صاحب كتاب "المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين"، إن عدد المغاربة في جيش صلاح الدين أثناء حصاره لمدينة عكاشة 583هـ/1187م ما بين ألفين وثلاثة آلاف⁽²⁾.

يعد الفندلاوي من الشخصيات المغربية، التي طار ذكرها، وخلد على صعيد مدينة دمشق، فقد ذكر "الذهبي" من مؤرخي القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، أن قبره على عهده، كان ما يزال يقصد بالزيارة والتبرك على الرغم من مضي أكثر من مائتي عام على وفاته⁽³⁾.

(1) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي، رحلة ابن جبير، تح: حسين نصار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، دت، ص 274.

(2) ممدوح حسين، شاعر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا، دار عمار، عمان، ط1، 1988، ص 183.

(3) علي أحمد، مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام، مجلة التراث العربي، ع67، ماي 1997، ص 79.

وكان بطرابلس جنود من المغاربة يرابطون على ساحلها، وقد اشتركوا في الدفاع على المدينة وتصدوا لملك قبرص "بطرس دي لزيان بن هيو الرابع"⁽¹⁾، عندما غزاها بآلاف الفرنج وعشرات السفن الحربية في سنة 769هـ/1367م، وحين داهمها الفرنج كان عسكرها خارج المدينة شمالي بيروت قد خرج مع الحاجب لاستقبال نائب جديد، ولم يبق بها سوى القليل من التركمان والمغاربة.

ولذا تمكن الغزاة من الاستيلاء على طرابلس يوما وليلة، حتى تكاثر أهل المدينة، ومن أتاهم من التركمان المرابطين عند عرقة⁽²⁾. ولحق بهم المغاربة حتى زاد جمعهم على خمسة عشر ألفا، ودارت معارك طاحنة في الأسواق وبين البساتين، حتى دُحر الغزاة، وكان أول من استشهد اثنان من المغاربة، واثنان من التركمان، وواحد من أهل طرابلس⁽³⁾.

إن الأندلسيين والمغاربة لم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال ما يجري من أحداث ومعارك، وذلك من أجل السيطرة على هذه المنطقة من أرض العرب والإسلام، ومن خلال اشتراكهم بالدفاع عنها، برهنوا على صدق انتمائهم العربي الإسلامي، فلم تقدهم الشيوخة أو التقدم في السن، ولا يخيفهم الموت ولا زوال المناصب الإدارية، وفقدان الأموال، لهذا فهم يستحوا الاحترام والتقدير، ويمكن القول أنهم كانوا في كثير من الأحيان أشد اندفاعا وحرصا من أهل البلاد الأصليين.

2. المهاجرين المسلمين:

كان للمهاجرين المسلمين دور في مقاومة وجهاد العدو المحتل، الذي اغتصب أرضهم وأملاكهم وطردهم منها، نجد على سبيل المثال: الوالي الفاطمي لمدينة عكا، والذي هاجر

(1) سهير محمد نعينع، الحروب الصليبية المتأخرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية مصر، ط1، 2002، ص 78.

(2) عمر عبد السلام تدمري، الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام، مجلة التاريخ العربي، غ12، خريف 1999، ص 23.

(3) السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، المرجع السابق، ص 460.

بعد استيلاء الصليبيين عليها إلى مصر، قد شارك في حملة الرملة الثالثة 498هـ/1105م ضد الصليبيين، ولكنه أسر ولم يطلق سراحه إلا بفدية كبيرة⁽¹⁾.

المهاجر شرق الدولة "بن أبي الطيب الدمشقي" الذي كان يتولى طرابلس قبل استيلاء الصليبيين عليها نجده في قيادة الأسطول المصري، قدم لنجدة صور في الحصار الفاشل الذي قام به الصليبيون عام 505هـ/1111م، وكان لهذه المساعدة أثر كبير في تغيير الأوضاع في المدينة، حيث تحسنت أوضاعها من خلال نقص الأسعار فيها⁽²⁾.

ومن المهاجرين الذين كان لهم دور في محاربة الصليبيين، الشيخ "عبد الرحمان الحلولي"، الذي ينسب إلى بلدة حلحول في الخليل، وكان قد نزع منها إلى دمشق وظل يشارك في جهاد الصليبيين حتى استشهد دفاعاً عن دمشق أثناء تعرضها لهجوم جيوش الحملة الصليبية الثانية 543هـ/1148م⁽³⁾.

كما أن الروسي "سايلوف" الذي زار الأماكن المقدسة في عام 1102م/1103م يذكر أن الطريق بين يافا وبيت المقدس غير آمن وخطر جداً وأن الصليبيين يتعرضون للكمان والمصائد أثناء مرورهم به، وتعجب من كثرة الجثث الملقاة في الطريق⁽⁴⁾. هذه الأعمال كان يقوم بها الجماعات المغيرة من المدن المصرية، إضافة إلى البدو القادمين من الصحراء واللاجئين المسلمين، الذين يختبئون في الجبال والكهوف، وذلك مما يبين دور المهاجرين اللاجئين في مقاومة العدو الذي طردهم من بلادهم⁽⁵⁾.

يمكن القول، أن المهاجرون المسلمون قد ساهموا في حركة الجهاد ضد المعتدين الذين طردوهم من أراضيهم.

(1) الشارترزي، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص228.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ص2259.

(3) لذهبي، تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ص149.

(4) سايلوف الحاج، وصف رحلة الحاج سايلوف لبيت المقدس والأراضي المقدسة 1102-1103م، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، عمان، 1979، ص23.

(5) ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، المصدر السابق، ج2، ص18.

الفصل الثاني

دور سكان الشام في المقاومة وردع الصليبيين

المبحث الأول: موقف سكان الشام من الاحتلال الصليبي

المبحث الثاني: المقاومة العسكرية للوجود الصليبي

المبحث الثالث: المقاومة الفكرية للوجود الصليبي

المبحث الأول: موقف سكان الشام من الاحتلال الصليبي.

1. موقف البدو من الاحتلال الصليبي:

كان موقف البدو من الاحتلال الصليبي ذا شقين؛ الشق الأول: وهو المقاوم للصليبيين والمساند للمسلمين والجهات الرسمية الحاكمة وكانوا يشكلون الغالبية، والنوع الثاني: من البدو والذين كانوا يبحثون عن مصالحهم التي كان يتحكم بها الصليبيين بحكم احتلالهم لغالبية بلاد الشام وسيطرتهم على الكثير من مناطق النفوذ البدوية، وقد انعكس على مجموعة من القبائل البدوية وجعلها مناصرة للصليبيين بكل ما في الكلمة من معنى "كانوا آفة على المسلمين ودليلاً للكفار على الإسلام"⁽¹⁾.

لقد قام الرحالة بوصف الهجمات التي كانت تشن ضد الحجاج عبر طرق موصلاتهم خلال الفترة الواقعة بين (495-500هـ/1102-1107م) مما يدل على أن هذه الهجمات كانت من صنع البدو الذين كانوا يقطنون في تلك المناطق، بالإضافة إلى أنها تأخذ شكل حرب العصابات، واعتمدت على أسلوب الكر والفر والمباغرة والعودة بسرعة إلى المخابئ في الجبال⁽²⁾. كما أن الأهالي الذين كانوا يسكنون في تلك المناطق من جنوب بلاد الشام، من "بنو ثعلبة وبنو جرم" الذين يعتبرون من قبيلة "طيء العربية"⁽³⁾ وجرم هذه فضاة الذين ينزلون "ببلاد غزة والداروم"⁽³⁾.

وفي سنة 506هـ/1112م شارك العرب البدو "الطائيين والكلابيين والخفاجيين" بمساعدة القوات الإسلامية الدمشقية بقيادة "طغتكين"، والمواصلية بقيادة مودود بعد انتصارها على الصليبيين في موقعة جسر الصنبرة لحمل الماء للقوات الإسلامية التي قررت متابعة هجومها على القوات الصليبية التي تحصنت في جبل إلى الغرب من طبرية، ومشاركة البدو

(1) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تح: حيدر آباد، الدكن، الهند، د. ط، ج8، 1952، ص293-299.

(2) سايلوف، رحلة الحاج سايلوف، المصدر السابق، ص23.

(3) المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القدار، البيان و الاعراب عما بأرض مصر من الاعراب، تح: عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، د. ط، 1998، ص4،3.

في المقاومة الشعبية وذلك من خلال نقل الماء ومساعدة القوات الإسلامية بمد يد العون لهم وتوفير الماء اللازم للشرب، وكل هذه الأعمال هي من أعمال السكان المحليين في المنطقة وهؤلاء السكان كانوا على دراية بمصادر المياه اللازمة للجند الذين يبذلون جهداً عظيماً في الصعود إلى الجبل الحصين الذي لجأ إليه الصليبيون⁽¹⁾.

عَمَل "بلدوين" الأول على شن حملة جديدة على منطقة البحر الميت وشرقي الأردن، وذلك في سنة 509هـ/1115م بهدف إخضاع القبائل البدوية في شرقي الأردن بإقامة مراكز دائمة للصليبيين في جوف بلادهم، حيث تم تأسيس إقطاعية صليبية⁽²⁾.

قام البدو بمهاجمة الجيش الصليبي الذي كان يحمل نعش الملك الصليبي المتوفي عبر طريق الخليل نحو القدس في سنة 511هـ/1118م، وذلك رداً وانتقاماً من الحروب التي قام بها "بلدوين" الصليبي⁽³⁾.

استمرت هجمات البدو، ضد الحجاج الصليبيين، غير أن البدو كان يطلق عليهم اسم قطاع الطرق، وبسبب هذه الهجمات شن "وليم بطريك" حرب وبيت المقدس إلى قيادة حملة، كما قام باستكمال تشييد قلعة الملك "أرنولد" للتصدي لهم⁽⁴⁾.

لم يشارك في هذه المعركة أحد من المسلمين سوى الأتراك أو الأكراد أو الفاطميين بمعنى البدو، وبذلك شكّلوا ثورة شعبية قامت بمهاجمة ذلك الجيش الصليبي وهزيمته.

استعانت مدينة دمشق بالبدو لإيجاد جبهة متماسكة نجحت في إفشال الحصار الصليبي لدمشق في حملة عام 523هـ/1129م⁽⁵⁾، وقد ذكر الحريري: "أن الحصار فشل

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص 185.

(2) السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية 1099-1187م/492-583هـ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998، ص 193.

(3) المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حليمي أحمد، القاهرة، د ط، ج3، 1971، ص 53.

(4) السيد علي أحمد، الخليل، المرجع السابق، ص 198.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 251.

بعد أن تتاحي عسكر دمشق والتركمان، والفلاحون والعربان على الفرنج فهزموهم، وقتل وأسر من الفرنج خلق عظيم⁽¹⁾، "شارك العرب البدو في نهب الصليبيين والفتك بهم"، بعد أن كثر فسادهم في الأعمال الدمشقية بعد رحيلهم عن دمشق وذلك سنة 543هـ/1148م، وجاء ذلك بناءً على طلب من حاكم دمشق "معين الدين أذ" الذي كان يخيم في حوران بجيشه فقام بمكاتبة العرب.

أغار صلاح الدين على بعض العشائر البدوية المقيمة حول "الكرك والشوبك" في شرق وجنوب البحر الميت في سنة 568هـ/1173م، وكان هؤلاء ينقلون الأخبار إلى الصليبيين فأنزل بهم قتلاً وتشريدًا حتى لم يبقى في بلادهم أحد من العربان، وإذا نهض الفرنج لا يجدوا بين أيديهم دليلًا⁽²⁾.

برزت المواقف الإيجابية في عهد صلاح الدين في الثاني من جمادى الآخرة سنة 573هـ/1177م خلال معركة الرملة حيث انضمت مجموعات من البدو الكنانية إلى القوات الإسلامية في معركتها مع الصليبيين⁽³⁾، كما ظهر موقف سلبي لبدو المنطقة الذين انتهزوا فرصة انهزام القوات الإسلامية فأعملوا فيهم للسلب والنهب بل والقتل فبات من بقى منهم في أسوأ حال⁽⁴⁾.

لقد استعانت القوات الإسلامية بالبدو ومرة أخرى في عام 574هـ/1179م، بسبب شهرتها في الاغارات السريعة وحرب العصابات، حيث سارعت قبائل العرب إلى بلد صيدا

(1) الحريري أحمد بن علي، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، 1980، ص 76.

(2) البنداري، فتح بن علي بن محمد، سنا البرق الشامي، مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تح: فتحة النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979، ص 66.

(3) ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج 2، 1957، ص 60.

(4) السيد علي أحمد، الخليل، المرجع السابق، ص 226.

وببيروت حتى يحصدوا غلات العدو⁽¹⁾، وفي عام 577هـ/1182م اشتركوا في الإغارة على جنين حتى قاربوا عكا، بينما كانت قوات صلاح الدين بقيادة ابن أخيه "فرخشاه" تشارك في الإغارة على منطقة الأغوار تحديدا في مدينة بيسان⁽²⁾.

كان البدو من ضمن الجماعات الشعبية المشاركة في معركة حطين عام 583هـ/1187م⁽³⁾، وبغض النظر عن كون البدو قد شكلوا قوات دعم احتياطية إضافة للقوات الإسلامية الصلاحية أم لا⁽⁴⁾، فإن الاعمال التي قاموا بها هي من الانجازات التي لا يمكن تنفيذها من قبل القوات النظامية.

وفي أثناء الحرب النهائية بين المسلمين والقوات الصليبية بقيادة "ريتشارد" شارك البدو في الإغارة على الصليبيين على طريق القدس وذلك قبل توقيع صلح الرملة⁽⁵⁾.

نستخلص مما سبق أن موقف البدو كان عبارة عن مقاومة شعبية بحتة ليس لها علاقة بالسلطة الحاكمة وتمثل ذلك في الهجمات التي كان يقوم بها البدو على طرق اتصالات الصليبيين، بعد ذلك أصبح موقف البدو مرتبطا ارتباطا وثيقا بالسلطة الحاكمة بعدما أدركت أهمية دور البدو.

2. موقف أهل الذمة من الاحتلال الصليبي:

اختلفت آراء الباحثين حول موقف أهل الذمة من المسيحيين الشرقيين واليهود كونها فئة من فئات سكان المحليين في بلاد الشام من المقاومة الشعبية، ومنهم من يعتبر أن أهل

(1) العماد الأصفهاني، عماد الدين بن عبد الله محمد بن محمد الكاتب، البرق الشامي، تح: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط1، ج1987، ص3، 157، 158.

(2) ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر الدين عمر الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تح: حسين حبشي، عالم الكتب، القاهرة، د. ط، د. ت، ص95.

(3) العماد الأصفهاني، عماد الدين بن عبد الله محمد بن محمد الكاتب، الفتح القصي في الفتح القدسي، تح: محمد محمود صبح، القاهرة، 1965، ص58.

(4) جب هاملتون، صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الإسلامي، حر: يوسف ايب، بيسان، بيروت، ط2، 1996، ص174.

(5) ابن شداد، النوادر، المصدر السابق، ص207-209.

الذمة قد شاركوا في المقاومة الشعبية ضد الصليبيين⁽¹⁾، والبعض الآخر اعتبر أن موقفهم كان مؤيدا للصليبيين معاديا للمسلمين، وأنهم لم يشاركوا في المقاومة ضد الصليبيين⁽²⁾.

كان موقف سكان الشام من الأرمن يختلف من حين لآخر من المقاومة الشعبية، ففي عام 1098/هـ491م غلب أهل حارم من الأرمن عليها⁽³⁾.

استغل هؤلاء الأرمن هزيمة جيش المسلمين الذي كان بقيادة "سقمان بن أرتق" من صليبي أنطاكية، وهرب من بقي من هذا الجيش إلى حارم، اتبعهم الصليبيون وهزمهم في حلب، أصبحت الأمور شاغرة في حارم حين قام الأرمن بالسيطرة عليها⁽⁴⁾.

كما شارك الأرمن إلى جانب الصليبيين في عدد من المعارك أهمها معركة البلاط، وفي عام 1119/هـ513م، قام صاحب أنطاكية "سير روجير" باصطحاب طوائف الإفرنج والأرمن من سائر أعمالهم⁽⁵⁾.

أما الجانب الإيجابي للأرمن فتمثل في اشتراكهم في حفر الخندق حول أنطاكية عند حصار الصليبيين لها في عام 1097/هـ490م، وبهذا شكّ فيهم الصليبيون، على أنهم يتجسسون لصالح المسلمين في أنطاكية، وينقلون المؤن إلى داخل المدينة⁽⁶⁾، وفي عام 1104/هـ498م ساهم أهالي من الأرمن في أرتاح بتسليم مدينتهم إلى فخر الملوك "رضوان" حاكم حلب لما شملهم من جور الإفرنج وتزايد ظلمهم⁽⁷⁾.

ونستخلص مما سبق أن المسيحيين من الأرمن تبين دورهم في المقاومة ضد الصليبيين كونهم من نفس الملة، والغالب عليهم هو التأيد للغزو الصليبي.

(1) أبو شامة شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997، ج4، ص156.

(2) الشارترى، تاريخ الحملة، المصدر السابق ص130،131.

(3) ابن العديم، زبدة حلب المصدر السابق، ج2، ص132.

(4) ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ج2، ص132.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص200.

(6) المصدر نفسه، ص134.

(7) المصدر نفسه، ص148.

كما يوجد هناك عنصر مهم من عناصر المسيحية في بلاد الشام ويتمثل في الموارد، موقفهم كان واضحاً في العداء ضد المسلمين وتقديم العون للصليبيين.

لا ريب في أن الموارد رأوا في قدوم الصليبيين نصيراً قوياً في مواجهة المحيط الإسلامي الذي يعتقد الموارد أنهم معادين لوجودهم⁽¹⁾.

اتصل الموارد بالجيش الصليبي الزاحف نحو بيت المقدس سنة 492هـ/1099م، ولخبرتهم بالحرب ومعرفتهم "بالرمي على القوس الثقيل بالنشاب الخارق"⁽²⁾، وما يتميزون به من سرعة ومهارة في خوض المعارك⁽³⁾، وقوة شكيمتهم وشجاعتهم⁽⁴⁾، انضمت قوة منهم إلى إلى هذا الجيش وقاتلوا جنبا إلى جنب، وعملوا كأدلاء للصليبيين يرشدهم إلى الطرق والمعابر خلال زحفهم كما عملوا تراجعاً لهم، وساهموا في عناصر المشاة ورماة الأسهم المتطوعة ضمن فرق الجيش الصليبي⁽⁵⁾.

بعد هزيمة قوات "ريموند دي سانت جيل" أمام المقاومة الشعبية خلال حصاره لطرابلس سنة 497هـ/1104م، فإن "ريموند" لجأ إلى الاستعانة بالموارد "أتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها وكذلك أهل السواد وأكثرهم نصارى فقاتل من بها أشد قتال"⁽⁶⁾.

ساهم المسيحيون النصارى في نقل المساعدات والمؤن إلى المسلمين خلال حصار الصليبيين للمدن الإسلامية، ففي عام 585هـ/1189م خلال حصار الصليبيين لمدينة عكا قام النصارى بنقل المساعدات والمواد الغذائية والحربية، حيث أعد المسلمون سفينة فرنجية كانت قد أصيبت فرمموها ورتبوا فيها "رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت"⁽⁷⁾، ليوهبوا

(1) وليم الصوري، الأعمال المنجزة، المصدر السابق، ج1، ص60.

(2) ابن الشحنة، الدر المنتخب، المصدر السابق، ص264.

(3) الفيتيري يعقوب، تاريخ بيت المقدس تر: سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط1، 1997، ص121.

(4) صليبي كمال، الموارد صورة تاريخية، ملف النهار، بيروت، ط1، 1970، ص16.

(5) سميل ريلي، الحروب الصليبية، تر: سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982، ص53.

(6) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص55.

(7) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق، ج04، ص156، 155.

القوات الصليبية المحاصرين لعكا بأنهم من بني جلدتهم، وقد انطلقت عليهم خطة المقاومة بمساعدة النصارى.

أما الفئة الثانية من أهل الذمة ألا وهم اليهود، فإن موقفهم كان غامضاً ولكنه في خط واحد، هو خط المعارضة للوجود الصليبي في بلاد الشام، وهذا لا يعني أنهم كانوا رجال مقاومة كما يصورهم البعض⁽¹⁾، ودليل غموض الموقف اليهودي من الاحتلال الصليبي ومقاومته من تلك العداوة التاريخية والدينية المستحقة التي اتضحت ورشحت مع بداية الحملة الصليبية الأولى وبدأ الصليبيون يمارسون الاضطهاد ضد اليهود حيثما كانوا وأينما وجدوا⁽²⁾.

وعليه يمكن القول، أن موقف أهل الذمة من الاحتلال الصليبي شهد الكثير من المد والجزر من حيث التأييد للمحتلين، أو المشاركة في المقاومة.

(1) براور يوشع، الاستيطان، المرجع السابق، ص 284، 285.

(2) براور يوشع، الاستيطان، المصدر السابق، ص 283.

المبحث الثاني: المقاومة العسكرية للوجود الصليبي:

أ. نصب الكمائن وتعقب الصليبيين:

قامت مجموعة كبيرة من أفراد المقاومة الشعبية بتتبع حركات الصليبيين للتخلص منهم أينما وجدوا، وقد استغلت هذه المجموعات الإمكانيات الطبيعية مثل: الكهوف والمغارات والغابات الكثيفة والمناطق التي تكثر فيها الوديان⁽¹⁾.

ومنذ الوهلة الأولى لقدوم الصليبيين إلى بلاد الشام عملت المقاومة الشعبية بإبراز دورها للظفر بالعدو من خلال نصب الكمائن له، فعند وصول الجيش الصليبي إلى بلاد الشام انقض أفراد المقاومة، حين أطلق عليهم "ريموند أجيل" اسم قطاع الطرق ليلاً على فرقة من القوات الصليبية التي كانت تسير نحو أنطاكيا وقاموا بقتلهم "في الحقائق وفي الأماكن النائية عن المعسكر"⁽²⁾، قررت الجيوش الصليبية مقاومة وطردهم هذه المجموعات، وفي ذلك واجهوا صعوبة، لأنهم كانوا غير مسلحين بشكل كبير، وفي حين آخر لم يكونوا مسلحين إطلاقاً، واستطاعت تلك المجموعات الهرب إلى جوف الجبال الوعرة والغابات الكثيفة⁽³⁾، حيث يقول السوري: «طائفة من قطاع الطرق والشطار كانوا مختفين في إحدى الغابات فأصابه أحدهم بخنجره في ظهره، نفذ من ضلوعه قريباً من قلبه»⁽⁴⁾.

عرفت المقاومة الشعبية في ذلك الوقت طبيعة المجتمع الصليبي الذي أقيم على أراضيهم في بلاد الشام، وعلاقة هذا المجتمع بأوروبا⁽⁵⁾، وفي ذلك فإن الرحالة "سايلوف" عندما زار بلاد الشام في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي ما بين 495-496هـ / 1102-1103م هو على علم بمدى المعاناة التي واجهها الصليبيون وخاصة الحجاج القادمين من

(1) ريموند أجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسنين محمد عطية، دار المعرف الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1990، ص59، 60.

(2) نفسه، ص60.

(3) نفسه، ص59.

(4) ويليام السوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تر: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، ج1، 1990، ص511.

(5) مؤلف مجهول، أعمال، المصدر السابق، ص5.

أوروبا، وذلك من خلال الطريق الممتد من يافا إلى بيت المقدس، ويصفه بأنه طريق جبلي وصخري خطر للغاية، وأن أفراد المقاومة الشعبية يمكنون في كهوف الجبال، من أجل المراقبة واختيار الفرصة المناسبة لمهاجمة أولئك الذين لا يملكون الحماية الكافية، يكونون قليلي العدد، أنه في خلال لحظات فإنهم يظهرون وينتشرون في كل مكان، وفي الحال يختفون من فورهم.⁽¹⁾

ويوافقه الرأي "الشارتري" في قوله: «إن رجال المقاومة الشعبية من أهل عسقلان اعتادوا نصب الكمائن في سفوح التلال والجبال الواقعة بين الرملة وبيت المقدس وكان غرضهم الانقضاض على مجموعة من أهلنا وأسرههم عندما عرفوا أنهم في سبيلهم للرحيل من يافا إلى بيت المقدس»⁽²⁾، ومن خلال هذا يتضح أن المقاومة الشعبية قامت بحركة عكسية لمواجهة العدو ما أطلق عليها بحرب العصابات ضد الصليبيين.

وقد اعتمدوا في تصادمهم على أسلوب الكر والفر والمباغلة وتحقيق أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوف الصليبيين، ثم الرجوع إلى مواقعهم الآمنة في الجبال، دون تعرضهم لأي خسائر. وأن المسلمين في بلاد الشام أدركوا أن المعارك التي دارت بين الجيوش الصليبية والنظامية الإسلامية ألحقت الهزائم بهم ما أدى إلى نجاح الصليبيين في تحقيق الأهداف، واحتلال أجزاء كبيرة من بلاد الشام، وذلك من خلال شن هجمات سريعة وخاطفة تلحق الضرر وتستهلك طاقتهم وتحرمهم من الدعم البشري⁽³⁾، هذا ما كان يعاني منه الصليبيون وشكل لهم نقص، كان ذلك بسبب عودة الغالبية العظمى من الأوروبيين إلى بلادهم بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى في زرع الكيانات الصليبية في المنطقة العربية،

(1) سايلوف، رحلة الحاج سايلوف في بيت المقدس والأراضي المقدسة 1102-1103م، تر: سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط1، 1997، ص23.

(2) الشارتري، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص207.

(3) محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس 1099-1187م، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، 1992، ص43، 44.

ضف إلى ذلك الحروب التي خاضوها مع المسلمين⁽¹⁾، فالمنطقة العربية كانت تتفوق من حيث العدد مقارنة مع أعداد الصليبيين، حيث وصف "ابن جبير"⁽²⁾ مدينة دمشق بقوله: «أكثر بلاد الدين خلقاً» باعتبارها كانت أكثر المدن كثافة سكانية في ذلك العصر، أما سكان حماة حسب ما ذكره "ابن القلانسي": «أهلها من الشيوخ والشبان والأطفال والنسوان وهم العدد الكثير والجم الغفير»⁽³⁾، وذكر "الإدريسي" عن مدينة حمص: «أنها عامرة بالناس»⁽⁴⁾.

وعليه فإن العنصر البشري في ذلك الحين هو الذي يدير آلة الحرب ويستولي على المواقع الحربية ولم تكن الأسلحة قد تطورت بالصورة التي يمكن أن تقلل من دور الجانب البشري وأهميته الحربية⁽⁵⁾.

وقد ظلت طريق يافا تحمل نفس الخطورة بالنسبة للصليبيين لسنوات طويلة، فبعد هزيمة الصليبيين في قرية قلونية التابعة لمدينة القدس سنة 585هـ / 1189م هرب الجنود الصليبيون نحو يافا ظناً منهم أنهم سينجون، إلا أن أفراد المقاومة الشعبية كانوا لهم بالمرصاد ونصبوا لهم كمينا "عند طريق يافا فمرت به فوارس، فاستولى عليهم الكمين ولم يسلم منهم أحد"⁽⁶⁾.

(1) بردج أنتوني، تاريخ الحروب، تر: أحمد غسان سبانو، ونيل الجيرودي، مر: سهيل زكار، دار قتيبة، د.ط، 1985، ص118.

(2) ابن جبير محمد بن أحمد، الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، مصر، د.ت، ص198.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص142.

(4) الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، 2002ص374.

(5) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص74.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، المصدر السابق، ج2، ص383.

خرج كمين في طريق يافا على قافلة فأخذوها وأسروا من فيها سنة 558هـ- 1192م⁽¹⁾، ولم تكن طريق يافا الوحيدة التي استغلها أفراد المقاومة الشعبية لنصب الكمائن والإيقاع بالصليبيين، بل إنهم استطاعوا بمهارتهم ومعرفتهم بجغرافية البلاد تعقب الصليبيين في كثير من الطرق خاصة الجبلية التي تكثر فيها الكهوف والمغارات ويمكن لأفراد المقاومة الشعبية بعد قيامهم بعملياتهم الفدائية أن يلجأ إليها، لأن الطريق المؤدية من بيت المقدس إلى نهر الأردن من فوق جبل الزيتون، على الجانب الشمالي الشرقي، خطيرة ومتعبة، وتتواصل هجمات قطاع الطرق في هذه الجبال الوعرة والممرات المخيفة⁽²⁾، بالنسبة للطريق إلى بيت لحم من الصعب العبور منه دون حماية عسكرية أو مساعدة من أحد الزعماء المحليين الموالين للصليبيين، حيث يذكر "دانيال" أن ذلك «بسبب هجمات قطاع الطرق في الجبال»⁽³⁾، كما يذهب بقوله إلى أن الطريق عبر الجليل إلى القدس تتميز بأنها «خطرة ومتعبة»⁽⁴⁾.

ومن ثم فإن أفراد المقاومة الشعبية لم يهدأ لهم بال عن مراقبة تحركات العدو، وكانوا يحومون حول الممرات الضيقة على طول الطريق، ويظفرون بأعداد ليست بقليلة من رؤوس الجنود الصليبيين، كما أشار "الشارتري" بقوله: «جنودًا مشاة لأنهم فقدوا خيولهم بطريقة أو بأخرى» بمعنى أنهم كانوا يأسرون بعضهم ويغنمون خيولهم خلال ذهابهم للبحث عن الطعام وبذلك فقدوا كل ممتلكاتهم⁽⁵⁾.

(1) العلمي، مجبر الدين الحنبلي، الأتس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان يونس أبوتبانة، مكتبة تنيس، عمان، ط1، ج1، 1999، ص387.

(2) دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة 1106-1107م، تر: سعيد البيشاوي، داود أبو هدية، عمان، ط1، 1992، ص69.

(3) نفسه، ص97.

(4) نفسه، ص106.

(5) الشارتري، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص146.

ويبدو أن هذا الأسلوب الذي اتبعته المقاومة الشعبية قد حتم على الصليبيين إنشاء العديد من القلاع على طرق الحج لتأمين حماية الحجاج من خطر مهاجمة أفراد المقاومة الشعبية لها⁽¹⁾.

في عام 588هـ/1192م من جمادى الآخرة يذكر ابن شداد أنه «لما علم المسلمون أن القوافل لا تتقطع عبر طريق يافا... كمنوا كميناً واجتازت القافلة ومعها جماعة كثيرة فخرجت العرب على القافلة وتبعتهم الخيالة فدحروا بين أيديهم منزهمين نحو المسلمين فخرجت الأتراك جماعة»⁽²⁾.

إضافة إلى ما حدث في السادس عشر من شعبان عام 584هـ العاشر من أكتوبر 1188م، فقد علم المسلمون من أفراد المقاومة الشعبية بخروج جمع من العدو يخرجون للاحتشاش من طرف النهر مما ينبت عليه... فخرجوا ولم يشعروا بهم فهجموا عليهم وقتلوا منهم خلقاً عظيماً وأسروا جماعة، وأحضروا رؤوساً عديدة للسلطان صلاح الدين. هذا ما يدل على أن العرب البدو الذين هم من المقاومة الشعبية كانوا يعملون تحت سمع وبصر السلطان الذي أسند إليهم مثل هذه المهمة الصعبة لخفتهم⁽³⁾.

ب. المشاركة في المعارك

اشتباك المسلمون منذ مجيء الصليبيين بلاد الشام مع جيوشها في العديد من المعارك، وذلك لتحقيق هدف وجيه والذي يتمثل في هزيمة هذه القوات ودحرها عن بلاد وموطن المسلمين، في بداية الأمر رفض السكان في بلاد الشام ذلك الوجود وقرروا مواجهته بشتى الطرق، وعليه جاءت مشاركتهم في المعارك وخوضها بقواتهم بشكل نظامي ضد العدو الصليبي.

(1) براور يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس، تر: عبد الحافظ البناء، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001، ص342.

(2) ابن شداد، بهاء الدين يوسف، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، ص208.

(3) نفسه، ص91، 108.

1. معركة عسقلان:

في 14 رمضان 492هـ الثالث عشر من أغسطس 1099م وصلت القوات الصليبية إلى السهل القريب من عسقلان ودارت راحى المعركة التي شاركت فيها مجموعات من المقاومة الشعبية فهزم الجيش الفاطمي، وتمكنت سيوف الإفرنج من المسلمين فأتى القتل على الراجل والمطوعة وأهل البلد وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس⁽¹⁾، وهذا دليل على المشاركة الواسعة للمقاومة الشعبية الذين لجأ أفرادها بعد الهزيمة التي حاقت بهم إلى تسلق أشجار الجميز ليحتموا بها، فعمد الصليبيون إلى إحراق تلك الأشجار، وفي هذا يقول "ابن الأثير": «حتى هلك من فيها، وقتلوا من خرج منها»⁽²⁾.

على غرار الانتصار الذي حققه الصليبيون في معركة عسقلان، فإن "جودفري" قام بحصار مدينة عسقلان بنية احتلالها، وفعلاً «نزل الفرنج عسقلان وضايقوها»⁽³⁾، فكان رد فعل سكانها النهوض بقوة لدفاع عنها وحمايتها وذلك من خلال إقامة مقاومة شعبية لا نظير لها؛ إذ نتج عن هذا الصراع والتصادم استشهاد كثير من أهل عسقلان «من شهودها وتجارها وأحداثها سوى أجنادها ألفان وسبعمائة نفس»⁽⁴⁾.

وكون عدد الشهداء قد وصل إلى عشرة آلاف فهذا يدل على مدى المشاركة الشعبية الواسعة التي وقفت في وجه العدو الصليبي دفاعاً عن ثرى بلادهم والحفاظ عليها وحماية أفراد سكانها وجهاداً في سبيل الله عز وجل.

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص137.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص21.

(3) المصدر نفسه، ص21.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص137.

2. معركة البلاط (تل عفرين) 513هـ - 1119م:

لقد شاركت المقاومة الشعبية في المعركة التي حدثت في تل عفرين الواقع بالقرب من البلاط بجانب قوات إيلغازي وحلفائه بعد الهجمات المتكررة من الصليبيين على إقليم حوران⁽¹⁾.

استعان "إيلغازي" بحاكم دمشق "طغتكين" لمحاربة الصليبيين في أنطاكية، كما قرر أيضاً حاكم دمشق عقد تحالف إسلامي معه، واتفقا على أن يحشد كل منهما عدد وفير من جنود ومتطوعين للتصدي للصليبيين؛ ففي 513هـ - 1119م من شهر صفر/ أيار حددوه كموعداً للاجتماع وتنفيذ الهجوم⁽²⁾.

تمكن "إيلغازي" من حشد ما يزيد عن عشرين ألفاً من العساكر والمتطوعة الغزاة⁽³⁾، وفي ذلك الوقت وصلت إستغاثات من أهل حلب إلى إيلغازي لمساعدته في الوصول سريعاً⁽⁴⁾، بعد أن قام صليبيون بحصارهم «وأخرجوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً، وخاف أهلها خوفاً شديداً ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد»⁽⁵⁾، «وانقطعت قلوب أهل حلب» لاستمرار غارات الصليبيين، وعندما تقدم "إيلغازي" استطاعت قواته مع أفراد المقاومة الشعبية من الاستيلاء على عدة حصون⁽⁶⁾.

وفي يوم السبت 513هـ - 1119م ظهراً، بدأ هجوم المسلمين وألقى الله النصر عليهم، وصار من انهزم من الصليبيين هارباً نحو الخيام فلحقهم الجيش وأفراد المقاومة الشعبية

(1) ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ج2، ص181.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص199-201.

(3) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص185.

(4) ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ج2، ص185.

(5) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص185.

(6) ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ج2، ص187.

وقتلوا منهم أعداد كبيرة، وتمَّ أسر معظمهم⁽¹⁾، «ووجد مقدمهم "روجير" صريعاً بين القتلى" في هذه المعركة وحملت رأسه إلى "إيلغازي"⁽²⁾. وبعد انتهاء المعركة "أحرق أهل القرى القتلى من الفرنج"⁽³⁾.

أما أهل حلب فقد فرحوا بهذا النصر العظيم فأعربوا عن مشاركتهم الوجدانية والدينية من خلال الصلاة والدعاء في المساجد، «فقد وصل البشير إلى حلب بالنصر والمصاف قائم، والناس يصلون الظهر بجامع حلب، سمعوا صيحة عظيمة بذلك من نحو الغرب»⁽⁴⁾.

تحركت جيوش نور الدين محمود نحو القوات الصليبية بالقرب من أنطاكية لمقاتلتهم وذلك سنة 544هـ-1149م، «وقد صار عسكره يناهز الستة آلاف فارس مقاتل سوى الأتباع والسواد» ومن الواضح أن هؤلاء الأتباع هم من مجموعات المقاومة الشعبية التي انضمت إلى جيش نور الدين بدافع الجهاد والمقاومة للمحتل الصليبي، واستطاعت هذه المجموعات والجيش الإسلامي هزيمة القوات الصليبية وقتل مقدمهم⁽⁵⁾.

وقد أحدث هذا الانتصار الذي قام به نور الدين مع مجموعات المقاومة الشعبية ضجة شعبية، وسرور كبير بين صفوف المواطنين، «وخرج من أهل البلد الخلق الذي لا يحصى لهم عدد من الشيوخ والشبان، والنساء والصبيان، لمشاهدة ما منح الله كافة المسلمين من هذا النصر المبين وأكثروا شكر الله تعالى والدعاء لنور الدين المحامي عنهم والرامي دونهم والثناء على مكارمه»⁽⁶⁾.

(1) العظيمي، محمد بن علي، تاريخ العظيمي، اعتماداً على كتاب سهيل زكار، الحروب الصليبية الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، دار حسان، د. ط، د. ت، ص 671.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج 9، ص 186.

(3) ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ج 2، ص 190.

(4) ابن العديم، المصدر نفسه، ص 189.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص 305.

(6) أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، ج 1، 1997، ص 443، 444.

3. معركة حطين 583هـ-1187م:

لقد شاركت مجموعات متطوعة في المقاومة الشعبية مشاركة واضحة، ومن الواضح أنها كانت على معرفة كبيرة بطبيعة الأرض التي جرت عليها المعركة لأنهم من أهالي المنطقة الذين كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لطرد المحتل الصليبي؛ فكانت فرصتهم في المساهمة بدور واضح في معركة حطين التي حسمت الموقف لصالح السكان في بلاد الشام بعد هزيمة القوات الصليبية فالفضل الأكبر يرجع لمجموعات المقاومة الشعبية في هزيمة هذه القوات بعدما رمى بعض مطوعة المجاهدين النار في الحشيش⁽¹⁾.

شملت معركة حطين عدد كبير من الفلاحين في المقاومة الشعبية، إضافة إلى الفقراء والفقهاء وحتى المتصوفين الذين حضروا إلى مجلس صلاح الدين الذي كان يستعرض الأسرى وقد سأله أن يطلق لهم العنان في أن يقتل كل واحد منهم فرد من الداوية أو الأستبارية الذين تم وصفهم "بالجنسين النجسين"⁽²⁾.

وعندما انتهت المعركة «رؤي بعض الفلاحين وهو يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من أسرى الفرنج قد ربطهم في طناب خيمته، وباع منهم واحداً بنعل لبسه في رجله، فقيل له في ذلك فقال: أحببت أن يقال باع أسيراً بمداس»⁽³⁾.

3. معركة صفورية:

حدثت بعد إغارة جيش الأفضل بن صلاح الدين على عكا، ففي أواخر صفر سنة 583هـ الموافق منتصف مايو 1187م، أرسل صلاح الدين الأيوبي إلى ولده الأفضل يأمره أن يبعث له بفرقة من الجيش الإسلامي للإغارة على مدينة عكا المحتلة، فسير إليه صاحب

(1) العماد الأصفهاني، عماد الدين بن عبد الله بن محمد بن محمد الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي، تح: محمد محمود صبح، القاهرة، 1965م، ص77.

(2) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق، ج3، ص290.

(3) العليمي، الأنس الجليل، المصدر السابق، ج1، ص318، 319.

حوران والرها ومجموعة من أكابر الأمراء⁽¹⁾، وعندما وصلوا إلى صفورية خرج إليهم الصليبيون في جمع كبير من الداوية والأسبتارية واشتبكوا في معركة طاحنة إنهم فيها الصليبيين وقتل مقدم الأسبتارية، وغنم المسلمون غنائم عظيمة⁽²⁾.

اتسعت المقاومة الشعبية في جهادها ضد الصليبيين في عام 585هـ-1189م، فمع أنّ المعركة كانت مقررة للجيش النظامي فقط، وذلك لأن تلك المنطقة القريبة من صور كانت صليبية خالصة، وخشي صلاح الدين على مجموعات المقاومة الشعبية أن تشترك في تلك المعركة لعدم معرفتهم بطبيعة المنطقة «إلاّ أنه تبع العسكر خلق عظيم من الرجالة والغزاة والسوقة»⁽³⁾، وحرص صلاح الدين على ردهم فلم يفعلوا، وخاف عليهم؛ لأن المكان كان ضيقاً وكثير الشجر وليس للراجل فيه ملجأ⁽⁴⁾، كما أن أفراد المقاومة الشعبية يرغبون في الجهاد والاستشهاد، وينتظرون الفرصة للانقضاض على الصليبيين وضربهم في كل مكان حتى ولو ضحوا بأعلى ما يملكون في سبيل الله ثم تحرير أوطانهم وطرد الاحتلال، فإنهم اندفعوا نحو الصليبيين وأوغلوا في أرض العدو مبعدين وفارقوا الحزم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا الفرنج⁽⁵⁾.

لم ينس صلاح الدين ما أبدته المقاومة الشعبية في موقعة الجسر من بسالة وجرأة فراح يتحين الفرص للانتقام من الصليبيين على ما فعلوه، ففي جمادى الآخرة 585هـ يوليو سنة 1188م استطاعت قواته أن تأسر عدداً معتبراً من الجنود الصليبيين بالقرب من صور فحملوا إلى سجن دمشق، ثم نكر قتلهم للغزاة المطوعة على الجسر⁽⁶⁾.

(1) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق، ج3، ص276، 277.

(2) ابن شداد، النوادر، المصدر السابق، ص61.

(3) ابن شداد، النوادر، المصدر السابق، ص82.

(4) المصدر نفسه، ص82.

(5) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج10، ص181.

(6) العماد الأصفهاني، الفتح القسي، المصدر السابق، ص289.

المبحث الثالث: المقاومة الفكرية للوجود الصليبي

1. موقف العلماء والفقهاء من المقاومة الشعبية:

كان للفقهاء والعلماء دور فاعل في المقاومة ضد الصليبيين، وهذا الدور لا يقل على ما قام به الجنود المحاربون لمقاومة الغزو الصليبي، فحمل السلاح ليس الوسيلة الوحيدة التي استخدمها هؤلاء؛ بل كان للوعظ والإرشاد والحث على الجهاد والتحريض على التوعية المستمرة بين الجنود، ومشاركتهم، وإثبات فضل الجهاد والمجاهدين عند الله، وشدّد الهمم والتشجيع والخطابة، وتلاوة القرآن الكريم، كل هذا كان له أثر جد كبير في تعزيز المقاومة الشعبية وحثها للالتفاف حول كبار الزعماء والقادة والتقرب منهم⁽¹⁾.

كانت بداية المقاومة الشعبية لتلك الأصناف؛ مدينة القدس فبعد اجتياح الصليبيين الفرنجة للمدينة جاسوا خلال الديار، وانطلقوا في شوارعها وبيوتها ومساجدها يقتلون كل من صادفهم من الرجال والنساء والأطفال ولبث الإفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون المسلمين، ثم اقتحم الغزاة المحتلين المسجد الأقصى وارتكبوا فيه مذبحة وحشية ضد من لجأ إليه وكان منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف⁽²⁾.

وقد تفاقمت كتب التاريخ والتراجم وغيرها من الكتب خاصة الأدبية منها بالكثير من الأمثلة حول فقهاء وعلماء ساهموا بطريقة إيجابية بالسلاح واليد للتصدي للصليبيين، فقد كانوا بمثابة عماد دعوة الجهاد لأنهم أحسوا بخطر الصليبي، كانت دعوتهم تنص على التجمع ونسيان الخلافات والأطماع الدنيوية والنزاع الذي كان سبباً للفرقة والضعف، وبلغ الحماس الديني بالعامّة مبلغه.

(1) موسى باشا، عمر، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر، بيروت، دمشق، د. ط، د. ت، ص 799.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج 9، ص 19.

في بداية الأمر لم يستجب الأمراء لذلك الحماس الديني لأنهم لم يكونوا ليستشعروا مسؤوليتهم في مواجهة العدوان، بعد ذلك استجابوا وقبلوا بالوضع في عهد صلاح الدين الأيوبي، حتى أن هذه الاستجابة تحولت إلى معاتبة لبعض العلماء على تقصيرهم في عدم الوقوف ضد المتخاذلين، ودليل ذلك ما حدث بعد وفاة نور الدين محمود زكي سنة 569هـ - 1174م، حيث هاجم الصليبيين بانياس فظهرت "خيبتهم وبيان اليأس"⁽¹⁾، ثم خرج إليهم شمس الدين بن المقدم قائد عساكر دمشق واتفق معهم على الهدنة، وأن تدفع دمشق مبلغ مستعجل من المال، كما يتم إطلاق عدد من الأسرى الصليبيين⁽²⁾، وقد وصلت أخبار هذه الهدنة إلى صلاح الدين الأيوبي في مصر واعتبرها مؤذنة بذل الإسلام⁽³⁾.

كما نجد الخطيب أبو الحسن علي بن مسلم بن الحسن السلمي الدمشقي 452-533هـ، حين بيّن فكرة الجهاد والوحدة وضرورة نبذ الفرقة والتشردم، فقد شهد السلمي وهو في أواخر عمره غزوة الصليبيين للشام، خصص دروسه في جامع بني أمية الكبير وتطرق في حديثه عن فضائل الجهاد، تحريضا لأهالي الشام على مقاومة المحتلين، وألف كتابًا في اثني عشر جزءًا أسماه "كتاب الجهاد"⁽⁴⁾ تكلم فيه عن معارك الإسلام الأولى ودور المجاهدين، مع ذكر الآيات والأحاديث النبوية التي تحض على الجهاد وتبين مكانة المجاهدين، كما شرح فيه أبعاد الاحتلال الصليبي، وقد كان هذا الاحتلال هجوم غربي على كافة العالم الإسلامي ذو ثلاث شعب: الأولى في الأندلس، والثانية في صقلية وإفريقيا،

(1) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق، ج2، ص322.

(2) البنداري، الفتح بن علي بن محمد، سنا البرق الشامي، مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تح: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ص33.

(3) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق، ج2، ص322.

(4) السبكي، أبي نصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناجي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، القاهرة، ط2، ج7، 1992، ص361.

والثالثة في بلاد الشام⁽¹⁾، ويبين أن الجهاد متوجب على الجميع، ثم تحدث السلمي في خطبته عن ضرورة تألف ووحدة المسلمين في كل ديار الإسلام لمواجهة الغزو الصليبي، ويطالب بعودة الوثام والصفاء مستشهدا بما كان يفعله العرب حتى قبل الإسلام، ثم يصل إلى نقطة هامة فيطالب بمساعدة أهالي الساحل المحاصرين المجاهدين لأنهم الآن شاغلون للعدو عن هذه البلاد وما يليها من مصر ونواحيها⁽²⁾.

لم يكن السلمي فقط من حث في مؤلفاته على الجهاد وبيان فضائله، فنجد ابن عساكر الذي ألف كتابا احتوى أربعين حديثا عن فضائل الجهاد⁽³⁾، وقال ابن شداد: «أن حب الجهاد قد استوى على قلب صلاح الدين لهذا جمع له ابن شداد كتاباً جمع فيه كل آدابه، وكل آية وردت فيه، وكل حديث روي في فضله⁽⁴⁾، ومن هذه الكتب كتاب ألفه محمود بن محمد بن صيفي⁽⁵⁾.

ومن الفقهاء والعلماء الذين ظهوروا في بداية مقاومة العدو وحملوا السلاح، الشيخ أبو القاسم الرازي، الذي استشهد مدافع عن ثرى القدس الشريف⁽⁶⁾، بالإضافة إلى الشيخ أبو القاسم الأنصاري الذي كان قاضيا للقدس عندما اجتاحتها الصليبيون، وقد تزعم حركة المقاومة الشعبية ضد الفرنج، ولعب دورا بارزا في القتال وتحريض الناس على الجهاد في سبيل الله⁽⁷⁾، استشهد في بداية الغزو الصليبي الفقيه أبو عبد الله الحسين بن الحسن

(1) الحلواني، أحمد عبد الكريم، ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين في عهد الدولتين النورية والأيوبية، دار الفداء، دمشق، د. ط، 1991م، ص41،40.

(2) حلواني، ابن عساكر، المرجع نفسه، ص43.

(3) حلواني، ابن عساكر، المرجع نفسه، ص44.

(4) ابن شداد، النوادر، المصدر السابق، ص16،17.

(5) جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص389.

(6) السبكي، طبقات الشافعية، المصدر السابق، ج5، ص98.

(7) العليمي، الأنس الجليل، المصدر السابق، ج1، ص298.

الشهرستاني دفاعا عن مدينة أنطاكية قبيل سقوطها عام 491 هـ-1098م، وقد خرج مع الجموع إلى أنطاكية فاستشهدوا بها⁽¹⁾.

وكان دور الفقهاء والعلماء واضحا من خلال الدفاع عن المدن الإسلامية أثناء حصار الصليبيين للمدن الشامية، ودليل ذلك ما ذكره ابن القلانسي⁽²⁾: من أن أهل صيدا وبعد أن فشلوا في مقاومتهم للصليبيين عام 503 هـ-1109م، قاموا بإخراج قاضيها وجماعة من شيوخها وطلبوا من بغدوين فأجابهم إلى ذلك.

وقد ظهرت ملامح أخرى لموقف الفقهاء كمتطوعين في المقاومة الشعبية في شمال بلاد الشام، حيث تزعم الفقيه الحلبي القاضي أبو الفضل ابن الخشاب المقاومة الشعبية ضد الصليبيين خاصة في معركة البلاطة سنة 513 هـ-1119م، إذ عمل على شحذ همم مجموعات المقاومة الشعبية والجنود على قتال الصليبيين، وأقبل يحرض الناس على القتال، وهو على حجر ويده رمح، وخطبهم خطبة بليغة استنهض فيها عزائمهم، وسترهف همهم بين الصفيين، فأبكى الناس وعظم في أعينهم⁽³⁾، وفي معركة "بانياس" سنة 552 هـ-1157م، 1157م، والتي تعتبر من أهم المعارك التي جرت ضد الصليبيين في العهد النوري، اشترك فيها عناصر من الفقهاء الصوفية والمتدينين العدد الكثير⁽⁴⁾، فهؤلاء المتصوفة كان لهم دور إلى جانب الفقهاء في المقاومة الشعبية، وهذا ما أشار إليه ابن جبير خلال رحلته في بلاد الشام: «أن المتصوفة قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفرغ خواطرهم للعبادة من الفكر في أسباب المعاش»⁽⁵⁾.

(1) ابن الجوزي، سبط، شمس الدين أبي المظفر، يوسف قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تح ودر: مسفر ابن سالم الغامدي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء

التراث الإسلامي، مكة، ج1، 1887، ص315.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص171.

(3) ابن العديم، زبدة حلب، المصدر السابق، ج2، ص188.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، المصدر السابق، ص340.

(5) ابن جبير، الرحلة، المصدر السابق، ص199.

حضر الفقهاء والعلماء في أول المعارك التي خاضها صلاح الدين في الثاني من جمادى الآخرة عام 573 هـ السادس والعشرين من نوفمبر 1177 م، في معركة الرملة أو تل الصافية أو كما يسميها البعض بكسرة الرملة⁽¹⁾.

شارك الفقهاء والعلماء كمتطوعين في جيش صلاح الدين هذا يعني مشاركتهم في المقاومة الشعبية، ودورهم في فتح مدينة القدس، ما أكد احتمال مشاركتهم في معركة حطين التي سبقت الفتح المبارك للقدس عام 583هـ - 1187م، وهذا أثبتته ابن كثير أنه عندما عزم صلاح الدين على فتح القدس «قصده العلماء والصالحون تطوعاً»⁽²⁾.

كما شهدت الحملة الصليبية الثالثة مشاركة العديد من الفقهاء أثناء حصارها لمدينة عكا، ومن بينهم الفقيه عيسى الهكاري، واستشهد عدد من الفقهاء والعلماء خلال المعارك حول عكا من بينهم العالم الشاعر الزاهد جمال الدين أبو علي الحسين بن عبد الله الذي ينتهي نسبه إلى ابن رواحه الأنصاري الخزرجي⁽³⁾.

2. مشاركة الأدباء والشعراء في المقاومة الشعبية:

يعتبر الشعراء والأدباء من الطبقة المثقفة في المجتمع الشامي، الأمر الذي دفعهم إلى الجهاد ومقاومة الأعداء، وتوحيد الجهود الإسلامية المتفرقة، للتصدي للعدو الصليبي الذي جاء لتحقيق هدفه ألا وهو القضاء على المسلمين، ويحتل وطنهم وأرضهم، وعلى هذا الأساس بدأ الشعراء بالدعوة للتحريض على الجهاد ومقاومة الصليبيين، وبث دعوة الجهاد والكفاح بين الناس⁽⁴⁾، عن طريق القصائد التي ساد فيها الحماس وقوة مما ترك أثر عظيم

(1) العماد الأصفهاني، عماد الدين بن عبد الله بن محمد بن محمد الكاتب، البرق الشامي، تح: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط1، ج3، 1987م، ص53، 55.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج12، ص322.

(3) العماد الأصفهاني، عماد الدين بن عبد الله بن محمد بن محمد الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم الشعراء، مصر، تح: احمد أمين وآخرون، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، ج1، د. ت، ص147.

(4) موسى باشا، عمر، الأدب، المرجع السابق، ص480.

دفع الأهالي إلى مواصلة كفاحهم، وتكثيف جهودهم، حتى يستردوا ديارهم، كما أن شعراء الجهاد خصصوا جزءاً من أشعارهم لمدح القادة وذكر خصالهم، وفي الوقت نفسه هاجموا المتخاذلين المتقاعسين، كذلك هذا الشعر كان له فضل كبير في المقاومة فقد خلد عظماء المسلمين الذين استشهدوا في سبيل الله؛ بقصائد رثائية رائعة⁽¹⁾.

كان الشاعر ابن الخياط⁽²⁾ من الشعراء الأوائل الذين دعوا إلى الجهاد، عند سماعه بقدوم الصليبيين، قام بكتابة قصيدة طويلة سلمها إلى عضد الدولة مقدم جيوش دمشق، يدعوه إلى الجهاد، وبأن جيوش المشركين قد أقبلت إلى بلاد المسلمين وهي كالسيل المنحدر بل أعظم منه وأكبر حيث يقول:

وَإِنِّي كَمَهْدِهِ إِلَيْكَ الْقَرِيضَ يُطْوِي عَلَى النَّصْحِ وَالنُّصْحِ يَهْدِي
إِلَى كَمْ وَقَدْ زَحَرَ الْمُشْرِكُونَ بَسِيْدٍ يُهَالُ لَهُ السَّيْلُ مَدًّا
وَقَدْ جَاشَ مِنْ أَرْضِ إِفْرَنْجَةَ جُيُوشٌ كَمَثَلِ جِبَالٍ تَرَدًّا⁽³⁾

لم يكن لهذه الأبيات الشعرية أي صدى لإقامة ثورة عنيفة ضد العدو ومواجهته، لذلك قرر الشاعر دفع الناس لسرعة الاستعداد لمقاومة الصليبيين، فيقول:

أَنُومًا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَهَزَلًا وَقَدْ أَصْبَحَ الْأَمْرُ جَدًّا
وَكَيْفَ تَنَامُونَ عَنْ أَعْيُنٍ وَتَرْتَمَ فَأَسَهَرْتُمُوهُنَّ حَفْدًا⁽⁴⁾.

(1) محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، دار المعارف الثقافية، الإحساء، المملكة العربية السعودية، د ط، 1979، ص 121.

(2) ابن الخياط، هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي، شاعر دمشقي مشهور له ديوان شعر منشور، كانت ولايته سنة خمسين وأربعمائة بدمشق، وتوفي بها في سنة سبع عشرة وخمسمائة، أنظر: ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1968، ص145، 147.

(3) ابن خياط، أبي عبد الله محمد بن علي التغلبي، ديوان ابن خياط، تح: خليل مردم بكن، المطبعة الهاشمية، دمشق، نشره مجمع اللغة العربية، دمشق، د. ط، 1958، ص182.

(4) ابن الخياط، ديوان، مصدر السابق، ص182.

وقد ذكر في آخر قصيدته بأن العز في هذه الأيام مقترنات بجهاد الصليبيين، وأن الذي يريد العز لنفسه يجب عليه أن يخلع الحديد عن جسمه، وأن يواصل الجهاد حتى طرد العدو، وفي هذا يقول:

فَمَا يَنْزَعُ الْيَوْمَ عَنْهُ الْحَدِيدِ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْبَسَ الْعِزَّ رَغْدًا
وَأَيْسَرَ مَا كَابَدَتْهُ النَّفُوسَ مِنْ الْأَمْرِ مَا لَمْ تَجِدْ مِنْهُ بُدًّا⁽¹⁾.

يربط الشاعر في هذه الأبيات الشعرية العزة والشرف بخوض الحروب والدفاع عن الأرض والموطن؛ إذ يفضل الموت في ساحة الحرب بشرف على العيش في الذل والجبن والخوف، فهو من خلال هذه الأبيات يهدف إلى بث روح الحماسة والجهاد في نفوس المحاربين والتعطش لسفك دماء العدو.

بعد احتلال الصليبيين بيت المقدس سنة 492هـ-1099م، تأججت عواطف المسلمين وثارت، وكان لهذا الحدث الجليل رد شعبي كبير، وقد كان الشاعر أبو المظفر الأبيوردي من الشعراء الذين عبروا عن حزنهم العميق وعملوا بواسطة أقلامهم على تحريض الناس للمقاومة من خلال قصيدته في قوله:

مَرْجِنَا دِمَاءَ بِالْذُمُوعِ السَّوَاجِمِ فَلَمْ يَبْقَى مِنَّا عُرْصَةً لِلْمَرَاجِمِ
وَسَرَّ سِلَاحَ الْمَرْءِ دَمْعٌ يَفِيضُهُ إِذِ الْحَرْبِ شَبَّتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
فَاءَ يُهُمَا بَنِي الْإِسْلَامِ، إِنَّ وَرَاكُم وَقَائِعٌ يَلْحَقْنَ الدَّرِي بِالْمَنَاسِمِ⁽²⁾.

أما في هذه المقطوعة الشعرية نجد الشاعر "الأبيوردي" يفتخر ويعتز بقوته وشجاعته وسفكه لدماء الأعداء من خلال أحاسيسه ومشاعره التي يكنها في نفسه للعدو، كذلك يدعو أهل الشام إلى المقاومة والجهاد في سبيل الوطن والتحلي بالصبر والقوة والإرادة والعزيمة لمواجهة العدو الظالم.

(1) ابن خياط، ديوان، المصدر السابق، ص184.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص20.

أدى هذا الشعر دوره، حيث بواسطته اتحد المسلمون، وحققوا العديد من الانتصارات، وبدأ الشعراء يحرضون الحكام ويدعونهم لتحرير بيت المقدس قبل تحريره بأكثر من نصف قرن، وظهر ذلك في إحدى مدائح ابن منير الطرابلسي بقوله:

وَعَدًا يَلْقَى عَلَى الْقُدْسِ لَهَا كَلْكَلٌ يَدْرُسُهَا دَرَسُ الدَّرِينِ
هَمْسَةً تُمَسِّي وَتُضْحِي عَزْمَةً لَيْسَ حِصْنٌ -إِنْ تُحِطُهُ- بِحَصِينٍ⁽¹⁾.

استغل الشعراء بعض الانتصارات التي حققها المسلمون ليحرضوهم على مواصلة المقاومة، فقال "ابن القيسراني" أبياتا شعرية يبارك لنور الدين محمود على انتصاره على صاحب أنطاكيا سنة 544هـ - 1149م، ويحرضه على النهوض لفتح القدس الشريف ومما قاله:

أَغْرَبَ سَيْوْفُكَ بِالْإِفْرَنْجِ رَاجِفَةً فُؤَادِ رُومِيَةِ الْكُبْرَى لَهَا يَجِبُ
فَانْهَضْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِذِي لَجَبٍ يُولِيكَ أَقْصَى الْمُنَى فَالْقُدْسُ مُرْتَقَبٌ⁽²⁾.

غزى صلاح الدين بعض بلاد الشام المحتلة، وانتصر على من فيها من الصليبيين وذلك سنة 566هـ - 1171م، قام عمار اليميني⁽³⁾ بمدحه حيث قال:

أَضْفْتُ إِلَى أَجْرِ الْجِهَادِ زِيَارَةَ الدِّ خَلِيلٍ فَأُبَشِّرُ أَنْتَ غَازِي مَوْفَقٌ
وَهِيَجَتِ لِلْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ لَوْعَةٌ يَطُولُ بِهَا مِنْهُ إِلَيْكَ التَّشَوُّقُ
وَعَزُوكَ هَذَا سَلْمٌ نَحْوَ فَتْحِهِ قَرِيبًا وَإِلَّا رَائِدٌ وَمُطْرَقٌ
هُوَ الْبَيْتُ إِنْ نَفْتَحَهُ فَاللَّهُ فَاعِلٌ فَمَا بَعْدَهُ بَابٌ مِنَ الشَّامِ مُغْلَقٌ⁽⁴⁾.

(1) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق، ج1، ص148.

(2) ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص363.

(3) عمارة اليميني: هو الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن بن أحمد، شاعر مشهور له ديوان شعر، قتله صلاح الدين سنة 569هـ - 1174م، وذلك بسبب تأمره مع جماعة من المضربين لإعادة حكم الفاطميين بمصر، أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص431-436، وأيضا: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، ج1، 1997م، ص395.

(4) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق، ج2، ص189.

كان في بيت المقدس شاب مأسور من أهل دمشق كتب هذه الأبيات وأرسل بها إلى

السلطان صلاح الدين على لسان القدس فقال:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَمَعَا لَهُ الصُّلْبَانُ نَكْسُ
جَاءَتْ إِلَيْكَ ظَلَامَهُ وَأَنَا عَلَى شَرَفِي مُنْجِسُ

كانت هذه الأبيات تدعو إلى فتح بيت المقدس، كما أن السلطان وجد في ذلك الشاب

أهلية فولاه بعد فك أسره خطابة المسجد الأقصى⁽¹⁾.

شارك في معركة حطين مجموعة من الشعراء وفتح بيت المقدس في 27 رجب

583هـ-1187م ويظهر ذلك من خلال ما ذكره الشاعر ابن الساعاتي في قوله:

فَيَا كَاشِفَ الْجُلَى وَ يَا مُحْيِيَ الْهُدَى
رَمْتَنِي اللَّيَالِي وَاللَّيَالِي مُصِيبَةً
وَأَصْبَحْتُ مِنْ مَالِي وَصَبْرِي مَعْدُومًا
لَقَدْ جَارَتْ الْأَقْدَارُ فِي بِحْكُمِهَا
وَا يَا قَاتِلَ الْبُلُوى، وَ يَا كَاشِفَا الْعُمَا
فَكَمْ لِسِهَامِ الْحُزَنِ فِي كَبِدِ كَلْمَا
وَفِي أَيِّ بَاغِي ثَوْرَةٍ عُدَاتٌ قَدَمَا
وَلَمْ تَزَلِ الْأَقْدَارُ تَقْهَرُنَا حُكْمَا⁽²⁾.

تطرق الشعراء للحديث عن المعارك وحرصوا المسلمين وقادتهم على المقاومة

والجهاد، فإنهم حملوا على الأمراء والملوك المتقاعسين الذين لا يشاركون في الجهاد،

فانتقدوهم بشدة، كما أن ابن سعد الموصلي يمدح صلاح الدين سنة 576هـ-1180م، ثم

يوجه الكلام عن الملوك المتقاعسين عن الجهاد فيقول:

لِيَفِدِ حَيَاءَ وَجْهِكَ كُلِّ وَجْهِهِ
مُلُوكٌ جُلُوهُمْ مُغْرِي بِظُلْمِ
إِذَا سُئِلَ النَّدَى جَهْمَ وَقَاحِ
وَمَشْغُولٍ بِلَهْوٍ أَوْ فَرِحِ⁽³⁾.

(1) العليمي، الأوس الجليل، المصدر السابق، ج1، ص318، 319.

(2) ابن واصل، مفرج الكرب، المصدر السابق، ج2، ص334.

(3) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، المصدر السابق، ص44.

وفي سنة 594هـ-1197م ذكر الشعراء أنه في هذه السنة تم تسليم بعض الأمراء لبعض الحصون وبيعها للصليبيين دون الدفاع عنها، وفي هذه الأثناء سلم الأمير عز الدين أسامة بيروت إلى الصليبيين فقال عماد الأصفهاني في هذا الخصوص:

إِنَّ بَيْعَ الْخُصُونِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ سُنَّةٌ سَنَهَا بَيْرُوتَ سَامَةَ
لَعَنَّ اللَّهُ كُلَّ مَنْ بَاعَ ذَا الْبَيْعِ وَأُخْزِيَ بِخُزْيِهِ مِنْ سَامَةِ⁽¹⁾

(1) الغساني، الملك الأشرف، المسجد المسبوك والجوهر، المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تح: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج1، 1975م، ص240.

الفصل الثالث:

أثر المقاومة الإسلامية للوجود الصليبي على سكان بلاد الشام

المبحث الأول: الهجرة والنزوح

المبحث الثاني الأوضاع الاقتصادية للصليبيين

المبحث الثالث: ثورة الفلاحين ضد الاحتلال

المبحث الأول: الهجرة والنزوح:

نتج عن المقاومة الشعبية، أن سكان الشام لم تكن لهم القدرة الكافية لردع الغزو الصليبي، فلجأ الأهالي إلى الهجرة والنزوح عن المناطق التي يعجزون عن حمايتها والدفاع عنها، غير أن الهجرة تعتبر ميزة سلبية للمقاومة إلا أنها كانت تشكل أسلوباً من أساليب المقاومة السلبية للاحتلال، حيث تمثل الجانب السلبي لهذه المقاومة فيما كانت تلحقه تلك الهجرة من آثار ديموغرافية واقتصادية سلبية على الوجود الصليبي في بلاد الشام، ولا سيما أن الصليبيين كانوا يعانون من نقص العنصر البشري⁽¹⁾.

كما أن هناك مجموعه من المهاجرون الذين هاجروا بإرادتهم بعد أن استسلمت بعض المدن، بعد أن أعطى الصليبيين عهداً وميثاقاً لهؤلاء السكان بالحفاظ على أرواحهم وكفالة حقوقهم بالمغادرة أو البقاء تحت الحكم الصليبي، إضافة إلى أن بعض سكان هذه المدن من المسلمين صمموا على التمسك بأرضهم والبقاء في المدن إلى أن يحين موعد التحرير وذلك عند استيلاء الصليبيين على مدن طرابلس عام 503هـ/1109م⁽²⁾.

بالنسبة للأهالي في صور والتي استسلمت في 518هـ/1124م فبعد طلبهم الأمان بقي بعضهم، أما الباقون فقد خرجوا من المدينة⁽³⁾، وتتألف المجموعة الثالثة من السكان المهاجرين من مدنهم بالكامل قبل وصول القوات الصليبية إلى مدنهم وقد أثر هؤلاء السكان اللجوء إلى المدن التي رأوا أنها بعيدة عن خطر الصليبيين⁽⁴⁾، أو إلى المدن الأكثر حصانة من مدنهم وهؤلاء هم سكان مدن يافا عام 492هـ/1099م⁽⁵⁾، والتي أعاد المسلمون اختلاطها

(1) وليم الصوري، الأعمال، المصدر السابق، ج1، ص 588.

(2) ابو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود، المختصر في اخبار البشر، تع: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 1997، ص 44.

(3) ابن شداد الحلبي، الاعلاق الخطيرة، المصدر السابق، ج2، ص 170 - 171.

(4) سيفان، اللاجئون، المرجع السابق، ص 80.

(5) الصوري، الأعمال، المصدر السابق، ج1، ص 423.

للمرة الثانية كأسلوب من أساليب المقاومة الشعبية السلبية بعد مهاجمة الصليبيين لها عام 587هـ/1191م⁽¹⁾.

وفي عام 504هـ/1110م أخلى أهل منبج وبالس بلديهما⁽²⁾، بعدما علموا بوصول الصليبيين وتعرض الفلاحون في قرى نابلس للطرد والتهجير من قراهم على يد السلطات الصليبية وتم تهجير سكان قرية كفر مالك إلى قرية بيت فوريك⁽³⁾.

كذلك نجد أهم أنواع المقاومة السلبية هو ما قامت به بعض الأهالي في نابلس بالهجرة إلى المدينة كأسلوب من أساليب المقاومة وعندما ازداد الضغط عليهم قرروا الهجرة ليتركوا أراضيهم الزراعية خرابا وتبدو الأمور أكثر وضوحا في حادثة الهجرة التي قام بها آل قدامة سكان قرية جماعيل، وقد اشتهر آل قدامة سكان جماعيل بالتقوى والعلم وقوة التأثير على سكان القرى المجاورة مثل مردام والساوية وياسوق...، إذ كان سكان هذه القرى يفدون إلى جماعيل لحضور خطبهم أيام الجمع، "ويبدو أن مقاومة آل قدامة الدينية للفرنجة تمثلت - بدافع من حمبتهم- في المزيد من التمسك بالإيمان والورع والتقوى ولم يكن الشيخ يخفى مشاعره ضد (الكفار) المحتلين وكان يحرض الفلاحين على الانصراف للدين وترك العمل للفرنجة في الأرض وكانت أقواله تلقى الصدى لدى أهل القرى الذين كانوا يعانون الكثير من ظلم الإقطاعيين وتعسفهم..."⁽⁴⁾، وكانت بمثابة اجتماعات وجلسات وحلقات تعقد في جماعيل لقراءة القرآن وتدارس الأحاديث النبوية الشريفة والتفقه في أمور الدين⁽⁵⁾.

(1) أبو الفداء، المختصر، المصدر السابق، ج2، ص 165.

(2) الحريري، الإعلام، المصدر السابق، ص 72.

(3) البيشاوي سعيد عبد الله، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 152.

(4) مصطفى شاكور، آل قدامة الصالحية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت الحولية، رقم 3، الكويت، 1982، ص 11-12.

(5) ابن طولون محمد بن علي الصالحي، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تح: محمد احمد دهمان، دمشق، ج1، 1949، ص 27.

كان هؤلاء السكان يشجعون الناس على مقاومة الاحتلال الصليبي ويشجعون الفلاحين على ترك العمل في أراضي السيد الاقطاعي والانصراف إلى أمور الدين وتحريض آل قدامة للفلاحين على ترك العمل في أراضي الصليبيين، كان يلقي استجابة من أهالي القرى الذين كانوا يعانون من ظلم السادة الاقطاعيين قال الحافظ ضياء الدين: "وسمعت غير واحد من أصحابنا يقول أن المسلمين صاروا تحت أيدي الفرنج بأرض بيت المقدس نواحيها يعملون لهم الأرض وكانوا يؤذونهم ويحبسونهم ويأخذون منهم شيئاً كالجزية"⁽¹⁾.

إن الهجرة والنزوح في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجري هي جزء أساسي من تاريخ المنطقة، حيث شهد هذا الزمن توجهاً للناس من الشام إلى مناطق أخرى نتيجة للاضطهاد الديني والصراعات السياسية والغزو الصليبي.

(1) ابن طولون، القلائد، المرجع السابق، ص 27.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية للصليبيين:

أثرت هجمات المقاومة الشعبية على الاحتلال الصليبي من الجوانب الاقتصادية وما نتج عنها من خسائر، غير أن هذا التأثير لم يكن كافياً، لكن بسبب تراكم الهجمات المتواصلة قد أحدثت خسائر اقتصادية متنوعة وكبيرة.

كانت هجمات المقاومة الشعبية ضد الصليبيين عبارة عن حرب عصابات، كما أسلفنا تشن بدورها ما يعرف في عصرنا الحالي بحرب استنزاف لموارد العدو بصفة مستمرة، وهذا الاستمرار في الهجمات هو الذي أحدث نوع من الخلل في شتى الميادين وفي المجال الاقتصادي خاصة، وفي بعض الأحيان قامت السلطات الرسمية بممارسة ما يعرف بالأرض المحترقة وذلك بمساعدة مجموعات المقاومة الشعبية ضد العدو الصليبي على أرض بلاد الشام⁽¹⁾.

وما يوضح العمليات الممارسة من قبل أفراد المقاومة الشعبية ضد الظروف الاقتصادية للصليبيين كثيرة، من بينها كان هناك شاهد عيان أسامة بن منقذ الذي دون كل ما شاهده في كتابه الاعتبار وأنهم كانوا يقومون بعمليات نهب واستنزاف موارد العدو اسم "الحرامية" أو "الصوص"، والذين كانوا ينتشرون في كثير من مناطق بلاد الشام وبين ممراتها وفي كهوفها وعبر المسالك الوعرة يتصدون الصليبيين وقوافلهم⁽²⁾.

في سنة 510هـ/1117م هاجم الصليبيون حماة فخيّموا حول المدينة تمهيداً لحصارها ثم اجتياحها وفي الحال علم أفراد المقاومة الشعبية بخبر الصليبيين وخرج من شيزر جماعة من الحرامية يدرون بعسكر الإفرنج يسرقون منه⁽³⁾، وفي 513هـ/1119م قام أفراد المقاومة الشعبية من البدو بمهاجمة الضياع والقرى المحتلة حول مدينة القدس، واشعلوا النيران في

(1) تويبود بطرس، تاريخ الرحلة، المصدر السابق، ص 18.

(2) المصدر نفسه، ص 18-19.

(3) ابن منقذ، الاعتبار، المصدر السابق، ص 111.

المحاصيل التي كان قد تم تجميعها هناك⁽¹⁾، وفي عام 515هـ/1121م سار بلدوين الثاني لمهاجمة دمشق وذلك لتأديب العرب الذين ينهبون الأرض المتاخمة لطبرية⁽²⁾.

خرج "طغتكين" حاكم دمشق سنة 520هـ/1126م لصد الهجوم الصليبي على دمشق فجمع التركمانيين وشطار دمشق والتقى بالصليبيين غير أنه هزم ففر هو وفرسانه ولكن الشطار لم يفروا كما فعل "طغتكين" وجيشه بل قاموا بالانحياز على خيام العدو وقتلوا في الفرنج⁽³⁾.

أثناء هجوم صلاح الدين على بيسان سنة 579هـ/1183م أطلق الناس فيها النيران ونهبوا ما فيها⁽⁴⁾، كما أن رجال المقاومة الشعبية قد شرعوا يتلصصون على الكفار وكبسوا ليلة سوق الخمارات، وسبوا عدة من النساء الحسان، فكان في ذلك نكاية عظيمة للكفار وأمكن الله المسلمين منهم وشرعوا في نهبهم وأسرههم في كل وقت⁽⁵⁾.

شاركت المقاومة الشعبية جيش صلاح الدين في مهاجمة يافا في عام 588هـ/1192م، بعد أن استولى عليها الصليبيين خلال الحملة الثالثة ودخل الناس البلد عنوة ونهبوا منه أقمشة عظيمة وغلالا كثيرة⁽⁶⁾.

قام أحد أفراد المقاومة الشعبية بتسهيل عملية سرقة كبيرة لمعسكر الصليبيين بمساعدة أهالي القرى من الفلاحين لألحاق الضرر بالاقتصاد الصليبي، ونلاحظ ذلك فيما رواه الشيخ "أبو الحسين بن أبي عبد الله بن حمزة الصوفي المقدسي الزاهد" والذي كان يقيم في حلب حيث يقول: أنه صادف جماعة من خيالة الفرنج وهم يشربون، فجنبت إلى قرية من قرى المسلمين التي تجاورهم وتقرّب منهم فقلت لهم: تعالوا حتى أعطيكم خيول الفرنج، قال:

(1) الشارترزي، تاريخ الحملة، المصدر السابق، ص 222.

(2) المصدر نفسه، ص 247.

(3) الذهبي، سير أعلام، المصدر السابق، ج 19، ص 521.

(4) أبو شامة، الروضتين، المصدر السابق ج 3، ص 186.

(5) (العلمي، الأتس الجليل، المصدر السابق، ج 1، ص 361.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، المصدر السابق، ج 2، ص 395.

فأخذتهم وجئت بهم إلى الموضع والفرنج قد ناموا سكارى، فانتقيت لهم أربعين حصانا من خيار خيولهم وسلمتها اليهم، فأخذوها ومضوا"، "وعندما استيقظ الفرنج من سكرتهم استدلوا على الشيخ فقبضوا عليه وأقروه بما فعل، فأخذ يسخر منهم: وادعى أنه قد أخذ خيلهم وربطها عنده لتأكل، فطلبوا منه أن يدلهم على مكانها اذا كانت عنده فعلا، يقول: فأخذتهم وجعلت أصعد بهم جبلا، وأنزل واديا إلى أن علمت أن المسلمين قد وصلوا بالخيول إلى مأمهم، فجئت بهم إلى مغارة هناك فأدخلتهم إليها وقلت ها هي خيولكم وكنت قد ربطت قسبا على معالف وجعلت بين يديها تبا وربطتها⁽¹⁾.

(1) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط1، ج10، 2000، ص 4414.

المبحث الثالث: ثورة الفلاحين ضد الاحتلال:

كانت أحوال الفلاحين في ظل الاحتلال الصليبي سيئة، ما دفعهم للثورة ضد هذا الاحتلال فقد كانت الغالبية العظمى من سكان القرى والضياع في بلاد الشام من المسلمين الذين كانوا يعملون بالزراعة وعاشوا مرتبطين بالأرض في القرى العديدة في المناطق التي خضعت للحكم الصليبي وهم الذين عرفوا عند الفرنج باسم المزارعين Rustici، أو الفلاحين Villani⁽¹⁾، وكانوا جميعاً يعملون في الحقول الزراعية التابعة للسادة الاقطاعيين ملاك القرى والأراضي الذين لم يسكنوا في تلك القرى، إنما عاشوا في قصورهم أو منازلهم بالمدن الصليبية⁽²⁾.

رغم هجرة الكثير من الفلاحين المسلمين من الريف نتيجة للغزو الصليبي وما رافقه من عمليات قمع وقتل فقد احتفظوا بكثرتهم العددية وخاصة في القرى المتاخمة للممتلكات الإسلامية، وحول المدن الكبرى داخل المناطق المحتلة مثل عكا⁽³⁾ وعسقلان التي وجد حولها قرية وصلت عدد الأسر فيها ما بين عشرين إلى مائتي أسرة⁽⁴⁾.

كانت أحوال الفلاحين المسلمين تحت الحكم الصليبي متردية بشكل عام، ذكر ابن جبير بأن السكان المحليين من فلاحي تبنين والصليبيين عاشوا معاً وهم مع الإفرنج على حالة ترفيه، أي أنهم عاشوا بوضع أفضل مقارنة مع فلاحي المناطق الإسلامية المجاورة، وذلك لأن جميع فلاحي تبنين من المسلمين خشي الصليبيون ثورتهم في أي لحظة فقاموا بتخفيف الضرائب عنهم⁽⁵⁾.

(1) علي، علي السيد، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1996، ص 172.

(2) الطحاوي حاتم عبد الرحمن، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د. م، ط1، 1999، ص 191.

(3) ابن جبير، الرحلة، المصدر السابق، ص 211.

(4) براور، الاستيطان، المرجع السابق، ص 449.

(5) ابن جبير، الرحلة، المصدر السابق، ص 210 - 211.

نتيجة للنظام الإقطاعي، فإن الفلاحين كانوا في أدنى درجات السلم الإقطاعي، أُجبر الفلاحون على دفع العديد من الضرائب المادية العينية أو النقدية لأسيادهم الإقطاعيين، إلى جانب العمل اليومي في الحقول⁽¹⁾، وذلك بتقديم هدايا اجبارية للسادة الإقطاعيين ثلاث مرات سنويا، وكانت تسمى هذه الضريبة Xenia، حيث قدّم الفلاحون من خلالها الدجاج والبيض والجبن والأخشاب⁽²⁾.

كما كان هناك ضريبة على النحل والعسل، وضرائب تدفع على الماشية والأغنام وعلى الحطب الذي يتم جمعه لاستخدامه في الطهي والتدفئة، وضريبة Mensuragium التي يؤديها في مقابل استخدام الموازين والمقاييس في معاملاتهم وضريبة استخدام الطواحين والمخابز والحمامات⁽³⁾.

في عام 579هـ/1183م قام الفلاحون أيضاً بدفع ضريبة العشر للكنيسة التابعين لها، حيث فرضت هذه الضريبة على الممتلكات والمنقولات، بقرار من المجلس الصليبي برئاسة الملك بلدوين الرابع لمواجهة تكاليف الدفاع عن المملكة الصليبية ضد تحركات صلاح الدين⁽⁴⁾، أما الفلاحون الذين لم يدفعوا ضريبة العشر للكنيسة بالطبع فقد دفعوا ضريبة نقدية عرفت بضريبة الرأس Capitation tax⁽⁵⁾.

وفي سنة 519هـ/1125م نشبت انتفاضة فلاحية كبيرة في منطقة بيروت وصيدا، ورفض الفلاحون أن يدفعوا الضرائب للصليبيين⁽⁶⁾، وفي الثلاثينات من القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري سعى سكان جبل بهرا شرقي أنطاكية إلى التحرر من التبعية للصليبيين، وذلك في سنة 524هـ/1130م، في هذه الفترة استغلوا الظروف التي تلت وفاة

(1) زابوروف، الصليبيون، المرجع السابق، ص 133 - 135.

(2) براور، الاستيطان، المرجع السابق، ص 447.

(3) علي علي السيد، العلاقات، المرجع السابق، ص 179.

(4) المرجع نفسه، ص 171.

(5) ابن جبير، الرحلة، المصدر السابق، ص 210.

(6) زابوروف، الصليبيون، المرجع السابق، ص 136.

"بوهيمند الثاني" أمير أنطاكية، وبعد عام 525هـ/1131م "ملك أهل بهراء حصن بكسراييل من حاكمه الصليبي رينو مازوار، وبين عامي 524هـ/1130م و526هـ/1132م استولى سكان جبل القدموس على الموقع الذي كان الصليبيون يحتلونه منذ عام 523هـ/1129م وأعادوه إلى صاحب حصن الكهف سيف الدين بن عمرو⁽¹⁾.

(1) العظيمي، تاريخ، المصدر السابق، ص 681.

الختمة

من خلال دراستي لدور سكان الشام والطوائف العرقية في مواجهة الصليبيين خلال القرنين 5-6هـ/11-12م، توصلت إلى جملة من النتائج نذكر أهمها:

- تتفرد بلاد الشام بموقع استراتيجي هام و أهمية تجارية بالغة ؛ إذ أنها تعتبر همزة وصل بين البحر المتوسط والأناضول وشبه الجزيرة العربية، كما انها تربط بين وادي الرافدين ووادي النيل ومن ناحية أخرى اوروبا، حيث كانت المعابر البرية والبحرية بمثابة منافذ حيوية للتجارة العالمية ورابطة بين القارات ، كما أنها تتمتع بأهمية اقتصادية كبيرة كونها منطقة غنية بالموارد الطبيعية من الأراضي الزراعية الخصبة والموارد المائية لهذا كانت هدفا استراتيجيا للصليبيين وهوما يفسر الأهداف الاقتصادية و الحيوية للحملات الصليبية الموجهة لمنطقة الشرق الاسلامي بصورة عامة وبلاد الشام بشكل خاص .

- تعد بلاد الشام مهبطا للديانات السماوية (الإسلام والمسيحية واليهودية)، تحوي العديد من المقدسات الدينية وتنتشر على أرضها مئات من أضرحة القديسين والأولياء الصالحين ، فكنائسها وجوامعها لا تعد ، منها انطلق التبشير بالديانة المسيحية وبالسيد المسيح ومنها انطلق الفتح الإسلامي مبشراً بدين الحق ونبي المحبة والسلام ، مما جعلها محطة اهتمام وأطماع الصليبيين ، خاصة بيت المقدس وكنيسة القيامة بفلسطين.

- إن الحروب الصليبية لم تكن مجرد صدام عسكري نشب بين الشرق و الغرب، بل صاحبها مشروع فكري تنصيري هدام رام الى تمسيح المقدسات الاسلامية و تملكها، و هذا ما يفسر استمرار استجابة المنطقة للتحدي الحضاري الذي فرضه عليها الاستيطان الصليبي.

- انبعثت المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، لأول مرة في المشرق الإسلامي من منطقة الجزيرة وبلاد الشام ، وكانت أول أمصار المسلمين في المشرق الإسلامي التي إكتوت بنار الخطر الصليبي عندما استولى الصليبيون على الرُّها عام 490 هـ/1097م، وتأسست فيها أولى الإمارات الصليبية، فأدرك السكان رغم تعدد انتماءاتهم خطر التوغل الصليبي في

بلادهم، مما بعث المسلمين على التفكير المستمر في مقاومة الصليبيين بجميع منذ سنة 491هـ / 1098م.

- مثل العلماء و الأدباء و شعراء الجهاد و رجال الفكر عامة قوة اعلامية جبارة في وجه الدعاية الصليبية المغرضة، وآلة تعبوية ساهمت في اصطاف الأمة الاسلامية في الشرق الاسلامي حول قادتها و دفعهم الى تحقيق المزيد عقب كل نصر .

- واجه السكان في بلاد الشام الخطر الصليبي باستماتة رهيبية وصمود مستميت خلال حصار الصليبيين لمدنهم، و رغم معاناتهم وسوء أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، إلا أنهم ساهموا في ثبات المدن الساحلية أمام الحصار الصليبي لفترة طويلة، وهذا ما يدل على مدى عزمهم على المقاومة حتى الموت دفاعا عن وطنهم وأرضهم.

- بسط الصليبيون سيطرتهم على بلاد الشام، وصولا إلى أنطاكية؛ حيث فرضوا عليها حصارا شديدا ، وكانت بيت المقدس من الأولويات الأساسية للحملة الصليبية، حيث انهم استعدوا لاحتلالها، ومارسوا فيها جرائم وحشية، وتمكنوا من تأسيس مملكة لهم في بيت المقدس تمهيدا لفرض سيطرتهم على المناطق المجاورة.

- كان للمغاربة والأندلسيين مشاركة فعالة في المقاومة الاسلامية في بلاد الشام، وهو ما يعكس لنا الرابطة المشتركة التي اتصفوا بها في دعم إخوانهم المشاركة، وقد كانت ملامح التضحية بارزة ومتعددة نظرا للإمكانيات والتخصصات، وذلك للدفاع عن الأرض والمقدسات.

- ساهمت المقاومة في تعزيز وحدة المسلمين وتحفيزهم على التصدي للاحتلال الصليبي، والحفاظ على الهوية العربية والثقافة الإسلامية ، ومنعت من تمدد الهجمات الصليبية إلى مناطق أخرى في الشرق الاسلامي.

- قدمت المقاومة الإسلامية نموذجا للصمود والاصرار للأجيال اللاحقة، وألهمت الكثيرين للتصدي للظلم والغزو الأجنبي في مختلف العصور.

وختاماً أسأل الله العليّ القدير، أن أكون وفقته في اتمام هذه الدراسة المتواضعة، والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل، فإن أخطأت فمن نفسي، وإن أصبت فمن الله وما أبري نفسي "رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا".

الملاحق

الملحق رقم (1): خط سير الحملة الصليبية الأولى



المصدر: المطوي، الحروب الصليبية، ص 53.

الملحق رقم (2): الإمارات الصليبية المؤسسة في بلاد الشام والجزيرة خلال الحملة الصليبية الأولى



المصدر: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 263.

الملحق رقم (3): القادة الصليبيون الأربعة



المصدر: أحمد الملوغوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 47.

الملحق رقم (4): حصار الصليبيين لأنطاكية



المصدر: أحمد الملوغوث، أطلس الحملات الصليبية، المرجع السابق، ص 49.

الملحق رقم (5): مقتطف من خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت

Clermont سنة 1095م

في سنة 1095م تم عقد مجلس كبير في الغال في مقاطعة أوفيفين *Auvergne*، في مدينة تسمى كليرمونت، ترأسه البابا أوربان الثاني، بصحبة الكرادلة والأساقفة. ولقد شهد هذا المجلس منافسة كبيرة بين الفرنسيين والألمان، سواء كانوا من الأساقفة أو الأمراء. فبعد تسوية الشؤون الكنسية، خرج البابا إلى مكان واسع، لأنه لا يمكن أن يحتوي أي مبنى على من جاء للاستماع إليه. ثم بلطف وباروخة مقنعة، خاطب الجميع قائلاً: "الرجال الفرنسيون، رجال من وراء الجبال، أتم كما نزلها تتلق بأعمالك، اختارها الله واعتر، وفضلها على شعوب العالم الأخرى، كلاهما بسبب الموقف من أراضيك، إنه بالإيمان الكاثوليكي والشرف الذي تضفيهما على الكنيسة المقدسة. توجه إليكم كلاهما، ونوجه إليكم تحياتنا: نحن نريد إطلاعك على السبب المؤلم الذي أوصلنا إلى بلادكم. وكيف اجتذبتنا رغباتك وأولئك المؤمنين، من حدود القدس ومدينة القسطنطينية أتت إلينا أخبار مخزنة.

إخواننا كثيراً ما تلقوا ضربات من "شعوب مملكة الفرس" الأمة اللعينة، أمة غريبة كلياً على الله... قد غزت هذه الأراضي "أرض المسيحيين، حطمتهم بالحديد"، بت وأحرقت، وأخذ بعضهم أسيراً، ووضع الآخرون حتى الموت، وأطرح من أسفل إلى أسفل، وجعلت كنائس الله تخدم الحفلات عبادة، هؤلاء الرجال يسقطون في اللذائج، بعد التكيل، ويسفكون دماءهم، أولئك الذين يرغبون في تعويده يموت محجلاً... ما أقول عن انتهاك أعراض النساء؟ سيكون من المؤسف أن نتحدث عن الأمر أكثر من الصمت... لقد قاموا بتعزيق الإمبراطورية البيزنطية، واحتلوا مساحة لا يمكن عبورها خلال شهرين من السفر... إن لم يكن لك الذي منحه الرب على جميع الأمم الأخرى "شارة المجد؟ ... وعظمة الروح" خفة الحركة في الجسم وقوة لخفض رؤوس "أولئك الذين يقارمونك؟ دعوا قلوبكم تتحرك، ويجعل أرواحكم جريحة من أعمال أسلافكم، فضيلة وعظمة تلك شارلمان *Charlemagne* وابنه لويس *Louis*. وهلوتك الآخرون، الذين دمروا هيمنة الأتراك ومددت في بلادهم إمبراطورية الكنيسة المقدسة. تأمل قبل كل شيء سلاح قهر يسوع المسيح، متقدنا، والذي يمتلكه الجنس الخسيس، والأماكن المقدسة الأخرى التي يدنسوا وينجسوا. أيها الفرسان الشجعان، الأجيال القادمة، خرجوا من آباء لا يفهمون، لا تراجع، ولكن تنكروا فضائل أسلافكم، إذا كنت تشعر بالضيق بسبب حب أطفالك الأعمى، من أجيالك، من زوجاتك، هل تتذكر ما يقوله الرب في إنجيله؟ "من يحب أبيه وأمه أكثر مني أنا، لا يستحقني" من ترك "متزلة أو إخوته" أو أخواته أو والده أو والدته أو زوجته أو أطفاله أو أراضيه، سيحصلون على مائة ضعف"، وسيحصلون على ميراث الحياة الأبدية.

لا تترجع من أي اهتمام بممتلكاتك وشؤون عائلتك، لأن هذه الأرض التي تسكنها، والشاطئة بيماء البحر ومرتفعات الجبال، تقتصر على نطاق ضيق للسكان، لا تكثر الثروات، وادعوا ما توفر الغذاء لأولئك الذين يزرعوا، ومن ثم،

فأنت تترك قسك وتلتهمها، وتثير الحروب ... أطفئوا كل الكراهية بينكم ،...، ودعوا الحروب تهدأ، واجعل كل مرارة اشتباقتك تدم. قبل الدخول إلى طريق القبر المقدس، وتحرير هذا البلد من أيدي هذه الأمم البغيضة، وإضافته إلى قوتك.

لقد أعطى الله إسرائيل ملكية هذه الأرض، التي يقول فيها الكتاب المقدس "تدر الحليب والعسل"، القدس هي المركز "إن أراضيهما، المختصة قبل كل شيء، تقدم، إذا جاز التعبير، مسرات جنة أخرى" مخلص الجنس البشري الذي أوضحه "بقدمه، ثم تكريمه من قبل عمل إقامته، ..."

هذه المدينة الملكية، التي تقع في وسط العالم، والتي أصبحت الآن أسيرة لأعدائها، تحولت إلى عبودية الأمم الجاهلة بقانون الله. لذلك فهي تطلب منك وتسمى خلاصها، ولا تتوقف أبدا عن المطالبة بأن تأتي لإقنادها. إلا في الغالب تتوقع منك المساعدة، لأنه كما أخبرناك، لقد منحك الله، قبل كل شيء "الشارة الجيدة". خذ هذا الطريق ... من المجد الذي يتطرق في ملكة السموات.

بعد أن ألقى البابا أوربان هذا الخطاب الطيء بالمدنية والعاطفة ...، توجد شعور الحاضرين وهضوا جميعا بصوت عال "الله يريد ذلك، الله يريد ذلك" ... بعد صياح حير روما الوفير. شكر الله ورفع عينيه إلى السماء طالباً الطمأنينة قائلاً: "أيها الإخوة الأعزاء، استمعتم في هوسكم إلى اليوم بما قاله الرب في إنجيله: عندما يتم تجمع اثنين أو ثلاثة باسمي، سأكون في وسطهم، لأنه إذا كان الرب الإله لا يحرم في تقوسكم، فلن تنطق بفس الكلمة، وبالرغم من أن هذه الكلمة مأخوذة من عدد كبير من الأقوال، فإنها لا تأتي بنفس المبدأ... وبصوت واحد ردد الحاضرون "الله يريد ذلك، الله يريد ذلك".

نحن لا نعطي أو نصح لا للمستين ولا للضعفاء، ولا لأولئك الذين ليسوا مؤيدين للأسلحة، إن هذا الطريق لا تسلكه نساء بلا رجال ... بالنسبة هؤلاء الأشخاص، يشكلون إخراجاً وليس مساعدة، ويصبحون أكثر اعتماداً على النفع، اصبح للأثرياء بمساعدة الفقراء، ... الرجال يصلحون للحرب، لا يجوز للكهنة أو مهمماكان وضعهم ... ، دون إذن أسقفهم،... لأنهم إذا ذهبوا إلى هناك بدون هذه الإجازة، فلن تكون الرحلة أكثر حكمة بالنسبة لهم ... وليست بمباركة " ... كل من لديه الإرادة لاتخاذ هذا الحج المقدس يوسف يلتزم بالله، وسيكبرن نفسه للتضحية ... مقدس ومقبول ... أنه يرتدي علامة صليب الرب على جبينه أو على صدره ..."

"الرب، الذي علم في كتابه الإنجيل: "من لا يأخذ صليبه ولا يتبعني فلا يستحقني".

للمزيد من التفاصيل عن الخطاب: Robert, Le Moine, op, cit., pp. 301- 313.

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
 - المصادر:
1. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (630هـ / 1232م) ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 1963.
 2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج8، 1994م.
 3. الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، فتوح الشام، تص: وليم ناسوليس الإيرلاندي، طبعة مدينة كلكتة، د.ط، 1953.
 4. أسامة بن منقذ مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي (584هـ/1188م)، كتاب الاعتبار، تح: فليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، (د ت).
 5. الاصطخري، أبو اسحاق محمد إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، مطبعة بريد، لندن، د.ط، 1937.
 6. الأصفهاني، أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، دار المنار، القاهرة، ط1، 2004.
 7. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد اللواتي الطنجي (779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1968م.
 8. البلاذري، أحمد ابن يحيى ابن جابر البغدادي، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ط، 1987.
 9. ابن البقاء عبد الله البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1980.
 10. البنداري، الفتح بن علي بن محمد (622هـ/1225م)، سنا البرق الشامي، مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تح: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

11. البيشاوي سعيد عبد الله، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
12. توديبود بطرس، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعارف، الجامعة الإسكندرية، ط1، 1998.
13. ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج5، 1963.
14. ابن جبير محمد بن أحمد (614هـ/1217م)، الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، مصر، د. ت.
15. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د. ط، 1980.
16. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج17، 1992.
17. ابن الجوزي، سبط، شمس الدين أبي المظفر (654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تح ودر: مسفر ابن سالم الغامدي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة، ج1، 1887.
18. الحريري أحمد بن علي ت بعد (926هـ/1519م)، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، 1980.
19. الحلواني، أحمد عبد الكريم، ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين في عهد الدولتين النورية والأيوبية، دار الفداء، دمشق، د. ط، 1991م.
20. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
21. ابن حوقل، أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د. ت.

22. ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (380هـ / 993م)، المسالك والممالك،
 تع: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1998.
23. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (681هـ / 1282م)، وفيات الأعيان
 وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1968.
24. ابن خياط، أبي عبد الله محمد بن علي التغلبي (517هـ / 1123م)، ديوان ابن خياط، تح:
 خليل مردم بكن، المطبعة الهاشمية، دمشق، نشره مجمع اللغة العربية، دمشق، د. ط،
 1958.
25. دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة 1106-
 1107م، تر: سعيد البيشاوي، داود أبو هدية، عمان، ط1، 1992.
26. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات 491هـ - 500هـ،
 تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، د. ط، 1994م.
27. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ / 1347م)، سير أعلام النبلاء،
 تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، ج1،
 1997م.
28. رانسيمان ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، تر: نور الدين خليل، الهيئة العامة
 المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، ج1، 1994.
29. ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمان الحنبلي، مجموع الرسائل، تح: أبو
 مصعب طلعت فؤاد الحلواني، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت.
30. ريموند أجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، تر: حسنين محمد عطية، دار المعرف
 الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1990.
31. سايولف الحاج، وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة
 1102-1103م، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، عمان، 1979.
32. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ
 الأعيان، تح: حيدر آباد، الدكن، الهند، د. ط، ج8، 1952.

33. السبكي، أبي نصر عبد الوهاب بن علي (771هـ/1369م)، طبقات الشافعية الكبرى،
تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الظناحي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزيرة،
القاهرة، ط2، ج7، 1992.
34. ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، تر: الباز لعريني، دار الثقافة، بيروت، ط1،
ج1، 1996.
35. أبو شامة شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم
(665هـ/1266م)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم
الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1997.
36. أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم
(665هـ/1266م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم
الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ج1، 1997.
37. ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين عمر الدين عمر الأيوبي (617هـ/1220م)، مضمار
الحقائق وسر الخلائق، تح: حسين حبشي، عالم الكتب، القاهرة، د. ط، د. ت.
38. ابن الشحنة، أبو الفضل محمد (815هـ/1412م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة
حلب، تق: عبد الله درويش، دار الكتاب العربي، دمشق، د. ط، 1984.
39. ابن شداد عز الدين محمد ابن علي ابن إبراهيم (684هـ/1258م)، الأعلام الخطيرة في
ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى زكريا عبادة، منشورات وزارة الثقافة، سوريا،
ط1، ج1، 1991.
40. ابن شداد، بهاء الدين يوسف (632هـ/1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن
اليوسفية، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.
41. ابن طولون محمد بن علي الصالحي (953هـ/1546م)، القلائد الجوهريّة في تاريخ
الصلاحية، تح: محمد احمد دهمان، دمشق، ج1، 1949.
42. ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط1،
ج10، 2000.

43. ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي (660هـ/1261م)، زبدة حلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.
44. ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي 499هـ/571م، تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، د.ب، د. ط، ج1، 1995.
45. العظيمي، محمد بن علي (556هـ/1160م)، تاريخ العظيمي، اعتمادا على كتاب سهيل زكار، الحروب الصليبية الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، دار حسان، د. ط، د. ت.
46. العليمي، مجبر الدين الحنبلي (927هـ/1520م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان يونس أوتبانة، مكتبة تنييس، عمان، ط1، ج1، 1999.
47. العماد الأصفهاني، عماد الدين بن عبد الله محمد بن محمد الكاتب (597هـ/1201م)، البرق الشامي، تح: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ط1، ج3، 1987.
48. العماد الأصفهاني، الفتح القصي في الفتح القدسي، تح: محمد محمود صبح، القاهرة، 1965.
49. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم الشعراء، مصر، تح: احمد أمين وآخرون، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ط، ج1، د. ت.
50. العمري القاضي ابن فضل الله العمري شهاب الدين (ت 749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ج4، 1924م.
51. العمري، شهاب الدين، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.

52. الغساني، الملك الأشرف (803هـ/1400م)، العسجد المسبوك والجوهر، المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تح: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج1، 1975م.
53. أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود (732هـ/1331م)، المختصر في اخبار البشر، تع: محمود ديوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، 1997.
54. أبو الفداء إسماعيل بن علي محمد بن عمر الملقب بعماد الدين، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.
55. فوشيه الشارترى، تاريخ الحملة إلى المقدس، تر: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، د ط، 2001.
56. الفيتيري يعقوب، تاريخ بيت المقدس تر: سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط1، 1997.
57. الفزويني زكريا بن محمد بن محمود 682هـ/1283م، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت.
58. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ج4، 1997.
59. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980.
60. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة 555هـ/1160م ، تاريخ دمشق، (360-555هـ/1088-1160م)، تح: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1983.
61. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الأباء اليسوعيين، 1908.
62. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل ابن عمر (774هـ/1372م) ، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن محسن التولي، د. ط، ج16، 1998م.

63. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (387هـ/1997م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، د.ت.
64. المقرئزي، البيان والإعراب كما بأرض مصر من الإعراب، طبعة ليدين، (د. ت).
65. المقرئزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1997.
66. المقرئزي، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلومي احمد، القاهرة، د ط، ج3، 1971.
67. المقرئزي، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب، تح: عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، د. ط، 1998.
68. المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1998م.
69. ناصر خسرو (480هـ/1087م)، سفرنامه، تر: يحيى الخشاب، دار الكتاب، بيروت، 1970.
70. ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج2، 1957.
71. وليم الصوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تر: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، ج1، 1990.
72. وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ج1، 1991م.
73. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ط2، ج1، 1995.
74. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، 1918.

• المراجع:

1. أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، دار الفكر، دمشق، ط2، 1983.

2. أرنتست باركر، الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت، ط2، د. ت.
3. أمير نافع، المسيحيون المحليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية 1097-1291م/491-691هـ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، د. ط، 2016م.
4. أمين الريحاني، قلب لبنان، بيروت، د. ط، 1965.
5. أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، دار الفرابي، بيروت، د. ط، 1998م.
6. براور يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس، تر: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001.
7. بردج أنتوني، تاريخ الحروب، تر: أحمد غسان سبانو، ونيل الجيرودي، مر: سهيل زكار، دار قتيبة، د. ط، 1985.
8. جاك ريسلر، الحضارة العربية، تر: غنيم عبدون، القاهرة، د. ط، 1968.
9. جب هاملتون، صلاح الدين الايوبي، دراسات في التاريخ الاسلامي، حر: يوسف ايب، بيسان، بيروت، ط2، 1996.
10. جرجي يني، تاريخ سوريا، المطبعة الأدبية، بيروت، د. ط، 1881.
11. جودة حسنين جودة، جغرافية لبنان الإقليمية، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ط، 1985.
12. جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، ج4، (د. ت).
13. جونز، مدن بلاد الشام، تر: إحسان عباس، دار الشرق، عمان، 1987.
14. الحدم، بشير مقبل ناصر، موقف القوى الإسلامية والمسيحية من الغزو الصليبي لأنطاكية، نور حوران للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2018.
15. حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
16. حسين أحمد أمين، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب والمعاصرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط، 1983.

17. حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1987.
18. حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت.
19. حسين محمد عطية، المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام، ضمن كتاب مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي 491هـ - 690هـ.
20. راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 2008.
21. رمضان عبد العظيم، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت.
22. زايوروف ميخائيل، الصليبيون في الشرق، تر: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، د. ط، 1986م.
23. سامي ملغوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2009م.
24. سعيد عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، د. ط، 1977م.
25. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى)، مكتبة أنجلو المصرية، كلية آداب، جامعة القاهرة، د. ط، ج1، 1963م.
26. سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1972.
27. سميث جوناثان، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، تر: فتحي الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1999.
28. سميح وجيه الزين، تاريخ طرابلس قديما وحديثا، دار الأندلس، بيروت، د. ط، د. ت.
29. سميل ريلي، الحروب الصليبية، تر: سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982.
30. سهير محمد نعينع، الحروب الصليبية المتأخرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية مصر، ط1، 2002.

31. سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر ، دمشق، د.ط، ج6، 1993.
32. سيفان إيمانويل، اللاجئين السوريون الفلسطينيون زمن الحملات الصليبية، تر: حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، دراسات في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997.
33. صالح محسن، الطريق إلى المقدس، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط5، 2012م.
34. صليبي كمال، الموارد صورة تاريخية، ملف النهار، بيروت، ط1، 1970.
35. الطحاوي حاتم عبد الرحمن، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دم، ط1، 1999.
36. طنوس الشذياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، بيروت، د. ط، 1954.
37. عالية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001.
38. عفيف البهنسي، الشام والحضارة، دراسة تاريخية، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1986.
39. علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، دار طلاس، دمشق، ط1، 1989.
40. السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية 1099-1187م/492-583هـ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998.
41. السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، 1987.
42. علي علي السيد، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1996.
43. عماد خليل، دراسات في تاريخ الموصل قوام الدولة أبو سعيد كربوغا، مجلة آداب الرافدين، الموصل، العراق، ع5، 1974.
44. عمر تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ج1، 1984.
45. غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، 2013.

46. الفيتري يعقوب، تاريخ بيت المقدس، تر: سعيد البيشاري، دار الشروق، عمان، ط1، 1998.
47. قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية نصوص ووثائق، خطبة البابا أوربان الثاني كما نقلها روبرت الراهب، بيروت، د.ت.
48. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، د.ط، 1993.
49. ماير هانس أبراهارد، تاريخ الحروب الصليبية، تر وتح: عماد الدين غانم، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط1، 2009.
50. محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني والثالث عشر ميلادي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1969م.
51. محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط3، 2009.
52. محمد عبد العظيم يوسف، أبو النصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عيد للدراسات، القاهرة، ط1، 2001.
53. محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، دار المعارف الثقافية، الإحساء، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1979.
54. محمد علي كرد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3، ج1، 1987.
55. محمد مرسي، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها 1097م/1144م، الاسكندرية: مصر، د.ط، 1972م.
56. محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 1996.
57. محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس 1099-1187م، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، 1992.
58. محمد مؤنس عوض، فكرة الجهاد الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2006.

59. محمود العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط2، 1982م.
60. محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1998.
61. مسفر بن سالم عريج الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط1، 1986.
62. مصطفى شاكر، آل قدامة الصالحية، حويات كلية الآداب، جامعة الكويت الحولية، رقم 3، الكويت، 1982.
63. ممدوح حسين، شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا، دار عمار، عمان، ط1، 1988.
64. موسى باشا، عمر، الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر، بيروت، دمشق، د. ط، د. ت.
65. مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تر: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، 1958م.
66. هنري لامنس، تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، مجلة المشرق، بيروت، ط2، ج2، 1914.
67. وول ديورانت، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، دار الجيل، دب، د.ط، ج15، د. ت.
68. ياسين السويد، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، دار المتلقي، بيروت، ط1، 1997.
69. يوسف درويش غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، عمان، د.ط، 1983.
- الرسائل الجامعية:
1. إيمان أحمد حسين مقابلة، القرية في بلاد الشام في العصر المملوكي، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1998.

2. محمود محمد فالح الرويضي، إمارة الرها الصليبية 1097 - 1155م/490 - 550هـ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، الجامعة الأردنية، 1997.
3. وفاء محمد إبراهيم، ساحل الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا، 1998.

• المجالات:

1. أبو عساف علي، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، السنة (12)، ع (39-40)، ديسمبر 1991.
2. علي أحمد، مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام، مجلة التراث العربي، ع67، ماي 1997.
3. علي السيد علي محمود، المقاومة الشعبية للغزوة الصليبية في بلاد الشام 490هـ - 690هـ/1097م - 1291م، مجلة العصور، لندن، م6، ج2، 1991م.
4. عمر عبد السلام تدمري، الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام، مجلة التاريخ العربي، ع12، خريف 1999.

فهرس المحتويات

الشكر والعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة أ- ح

مدخل تمهيدي: جغرافية بلاد الشام وأهميته في الصراع الإسلامي الصليبي

1. المجال الجغرافي لبلاد الشام..... 10
2. أصل التسمية..... 12
3. أهمية بلاد الشام في الصراع الصليبي الإسلامي..... 13
4. التركيبة السكانية للمجتمع الشامي في عصر الحروب الصليبية..... 15

الفصل الأول: العدوان الصليبي على بلاد الشام وتأسيس الإمارات الصليبية في القرن 5-

11/56 - 12م

- المبحث الأول: الاجتياح الصليبي وهجرات السكان..... 20
- المبحث الثاني: حصار مدن الشام وتأسيس الإمارات الصليبية..... 32
- المبحث الثالث: دور الطوائف العرقية في المقاومة..... 52

الفصل الثاني: دور سكان الشام في المقاومة وردع الصليبيين

- المبحث الأول: موقف سكان الشام من الاحتلال الصليبي..... 57
- المبحث الثاني: المقاومة العسكرية للوجود الصليبي..... 64
- المبحث الثالث: المقاومة الفكرية للوجود الصليبي..... 74

الفصل الثالث: أثر المقاومة الإسلامية للوجود الصليبي على سكان بلاد الشام

- المبحث الأول: الهجرة والنزوح..... 85
- المبحث الثاني الأوضاع الاقتصادية للصليبيين..... 88
- المبحث الثالث: ثوره الفلاحين ضد الاحتلال..... 91

95	الخاتمة
99	الملاحق
106	قائمة المصادر والمراجع
120	فهرس المحتويات
	الملخص

ملخص الدراسة:

تعتبر الحروب الصليبية من الصراعات الدينية والعسكرية التي نشبت خلال القرن 5-6هـ/11-12م؛ كما أنها تحمل طابعا دينيا وسياسيا واقتصاديا، وشهدت بلاد الشام أحداث هامة مثل سقوط القدس في يد الصليبيين عام 1099م؛ واستعادتها من جديد من قبل صلاح الدين الأيوبي في عام 1187م.

كان لسكان الشام دورا بارزا وحاسما في مقاومة الصليبيين؛ كانت محورا للصراع بين القوى المسلمة والصليبية، كونها تمتلك مواقع استراتيجية مهمة وموارد غنية؛ مما جعلها محط اهتمام للطرفين وموطنا لعدد كبير من القوات الإسلامية بما في ذلك الأيوبيين والمماليك؛ الذين قادوا حروبا شرسة ضد الصليبيين، ونجحوا في استعادة العديد من الأراضي المفقودة؛ إلا أن الحروب الصليبية تركت أثرا عميقا على الشرق الأوسط وأوروبا، واثرت على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين لعدة قرون. وقامت بالتوغل في بلاد الشام وتأسيس الإمارات الصليبية مثل إمارة بيت المقدس وإمارة طرابلس، ولكن واجهوا مقاومة شديدة من قبل السكان المسلمين وغيرهم وخاضوا بعض المعارك المهمة مثل معركة حطين ومعركة عسقلان؛ التي أدت إلى تقليص نفوذ الصليبيين في المنطقة وتعزيز نفوذ المسلمين وتأثرت مقاومة الشام بتحالفات متنوعة وانعكس عليها إيجابيا وبرز دور الزعماء المحليين في الدفاع عن الأراضي والدين.

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، بلاد الشام، الإمارات الصليبية، مقاومة الصليبيين.

Study summary:

The Crusades are considered one of the religious and military conflicts that erupted during the 5th-6th century AH/11-12AD century. It also bears a religious, political and economic character, and the Levant witnessed important events such as the fall of Jerusalem to the Crusaders in 1099 AD. It was restored again by Saladin Al-Ayyubi in 1187 AD.

The population of the Levant played a prominent and decisive role in resisting the Crusaders. It was the focus of the conflict between the Muslim and Crusader powers, as it possessed important strategic locations and rich resources. Which made it a focus of interest for both parties and home to a large number of Islamic forces, including the Ayyubids and Mamluks. Who led fierce wars against the Crusaders, and succeeded in recovering many lost lands; However, the Crusades left a profound impact on the Middle East and Europe, and affected relations between Muslims and Christians for centuries. It penetrated into the Levant and established the Crusader emirates, such as the Emirate of Jerusalem and the Emirate of Tripoli, but they faced severe resistance from the Muslim population and others, and they fought some important battles, such as the Battle of Hattin and the Battle of Ashkelon. Which led to the reduction of the influence of the Crusaders in the region and the strengthening of the influence of Muslims. The resistance of the Levant was affected by various alliances and was reflected positively, as well as the emergence of the role of local leaders in defending lands and religion.

Keywords: Crusades, the Levant, Crusader emirates, resistance to the Crusaders.